رائحة الوصال
العارف الربّانيّ
(وصال ملك)
السيّد أحمد النجفيّ

رائحة الوصال

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى ٢٠١٥

رائحة الوصال

نفحات معرفية عَطِرة

العارف الرباني

آية الله السيّد أحمد النجفي (دام ظلّه)

منشورات الرضا

لبنان - بيروت

تلفون: ٠٣/٦٣٨١٨٤

رائحة الوصال

نفحات معرفية عَطِرَة

العارف الرباني

آية الله السيّد أحمد النجفي (دام ظلّه)

منشورات الزهراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومخالفيهم ومعانديهم ومبغضيهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم من الآن إلى قيام يوم الدين، آمين يا رب العالمين.

إنّ أهل البيت عليهم السلام هم خزّان علم الله الموصِل إلى الحقيقة اللامتناهية، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وكل واحد ينهل من هذا العلم بحسب محبّته وظرفيّته الوجودية. ولذلك، فمن أراد اللهَ عليه أن يبدأ بهم، «من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قَبِل عنكم ومن قصده توجّهَ إليكم»[2] لأنهم عليهم السلام هم القرآن الناطق والقرآن العينيّ.

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: «كتاب الله عزّ وجل

---

(١) سورة الحِجر، آية ٢١.

(٢) الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان.

على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»[١]. ولذا، عليك أيها الموالي أن تعرف من أيّ صنف أنت، وإذا قرأتَ مطلباً علمياً، هل ستقف عند العبارة فقط أم أنك ستبلغ إلى لطائف هذه العبارة وحقيقتها؟

ومن هنا، عليك أن تطلب من الله عزّ وجل أن يجعلك من أهل اللطائف والحقائق، إذ ليس أياً كان يمنّ الله تبارك وتعالى عليه بالانتهال من العلوم والمعارف الإلهية الغيبية إلّا إذا كان من أهل الولاية وأهل السر الذي لا يناله إلا ذو حظ عظيم.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لولده إسماعيل: «يا بنيّ، إجتهد في تعلّم علم السّر فإنّ بركته كثيرة، أكثر مما يُظنّ. يا بنيّ، من تعلّم علم العلانية وترك علم السّر يهلك ولا يسعد. يا بنيّ، إنْ أردتَ أن يكرمك ربّك بعلم السّر، فعليك ببغض الدنيا، واعرف خدمة الصالحين، وأحكم أمرك للموت، فإذا اجتمعَت فيك هذه الخصال الثلاث، يُكرمك ربّك بعلم السّر».

أيها الموالي، كيف لك أن تبلغَ علم السّر إنْ كنتَ مستغرقاً في دنياك وعابداً لهواك وغافلاً عن أمر مولاك ولم تُوفَّق حتى الآن لمعرفة الصالحين؟ وأنّى لك خدمتهم؟ و«سيّد القوم خادمهم»[٢] كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فهنيئاً لمن كان خادماً لابن فاطمة

(١) ميزان الحكمة، ج٣ ص٢٥٣١.

(٢) مكارم الأخلاق، الطبرسي، ص٢٥١.

الزكيّة عليها السلام الذي ترنّم قائلاً في دعاء عرفة: «إلهي تردّدي في الآثار يوجبُ بعدَ المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك»[١]، وكما ورد في دعاء كميل: «حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً وحالي في خدمتك سرمداً»[٢]. فكيف وما هي الخدمة السرمدية، هل فكّرنا؟

ولذا، إسعَ لخدمة الصالحين لتنال علم السّر وتبلغ حقيقة الإيمان. وسلّم أمرك للموت وارضَ بكل ما ينزل عليك من قضاء الله وقدره، فكما يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنَّ لكلِّ شيء حقيقةً وما بلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٣] فإن اجتمعت فيك هذه الصفات الثلاث، عندها يُكرمك ربّك بعلم السّر، وإلا فسوف تكون من المُنكرين له، ذلك أنّ من يعجز عن معرفة هذه المقامات العالية، يلجأ إلى إنكارها، وإنما دعاه إلى الإنكار الجهلُ والحسدُ وحبُّ النفسِ والدنيا، ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[٤].

وإنّ الإنكار من أخطر مكائد الشيطان، فعن أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، قال عندما سألَتْهُ العقيلة زينب عليها السلام عمّا سيجري في كربلاء: «أن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً

---

(١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، مفاتيح الجنان.

(٢) دعاء كميل، مفاتيح الجنان.

(٣) كنز العمال ١: ١٢/٢٥.

(٤) سورة الروم، آية ١٠.

فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفارِيته فيقول: يا معاشر الشياطين، قد أدركنا من ذريّة آدم الطّلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلّا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملِهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم[وا] ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر...»[١].

ويميل البعض بذاته إلى الشيطان الذي هو منشأ الإنكار. فلا يعترض إذا قيل له إن الشيطان موجود في كل مكان، ولا يعتبر أن مثل هذا الكلام من شأنه أن يضرّ بالتوحيد. إلا أنه من جهة أخرى، يسارع إلى الإنكار حين يسمع أن أمير المؤمنين عليه السلام موجود في كل مكان، معتبراً أن هذا القول يقوّض التوحيد ويُفسِده، في حين يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يا حار همدان، من يمُتْ يَرَني من مؤمنٍ أو منافقٍ قبُلاً»[٢]، وما أكثر الذين يموتون في اللحظة الواحدة! والحقيقة أنه عليه السلام لا يحضُر عند كل من يموت فحسب، بل إن الكون بأسره ما هو إلا شعاعٌ لوجوده المقدس[٣].

---

(١) كامل الزيارات، باب ٨٨، ص ٢٧٣.

(٢) بحار الأنور، ج٣٩ ص٢٤١.

(٣) في رسالة للإمام الحجة عجل الله فرجه لشيعته: «نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا»، كتاب الغيبة للطوسي ص١٧٣ ح٧. ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «وهل يُعرف أو يوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك شأن من هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسرّ=

لذا، أيها الموالي لا تكن من أولئك الذين يقبلون بالتجليات الشياطنية بينما لا يجدون حرجاً في إنكار التجليات الولائية وتذكّر دائماً أن «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق»[١].

وإنْ أنكرَتِ العقول الحقائق المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام، فذلك لقصورِها عن ارتقاء عالي قصورها، إذ لا يُدرَك غامض المعقول بالمنقول، فكيف بما وراء العقول؟ وقد قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «إنّ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب إلّا بالتسليم، فمَن سلّم لنا سَلِمَ ومَن اقتدى بنا هُدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً ممّا نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السّبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»[٢].

وليس كل من كان عنده علم الفقه يعني ذلك أنه يمتلك الإحاطة بسائر العلوم، وإنّ القالي حجبه عن نوره العالي ظلمة الكِبر والحسد، والغالي تاه في تيه أسرارهم فضَلَّ عن سبيل الرّشد.أما العارف، فنظر إلى قدرة وعظمة الله فيهم فعرف أنهم أسرار الواحد الأحد وأن ظاهرهم باطنُ الخلائق وباطنَهم عينُ الحقائق وغيب الإله الخالق.

أيها الموالي، إنْ أردتَ الحقيقة، فهي لا تُعرف بالرجال،

=الممكنات وشعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء...»، مسند الإمام علي عليه السلام ج٩ ص٣٣، مشارق أنوار اليقين ص١١٤.

(١) عوالي اللئالي، ج١ ص٢٧٣ ح٩٧؛ بحار الأنوار، ج٦٠ ص٣٣٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٢٤.

فاعرف الرجال بالمقال، لا المقال بالرّجال، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الحق والباطل لا يُعرفان بأقدار الرجال، إعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله»[1]. وإنْ أردتَ وصالها، فما عليك إلا أن تشتمّ شذاها من ندى عالم ربّانيّ انتهل من علم السّر فارتوى وأروى وكان الراوي لكلّ ظمآنٍ للحقيقة. فإليكَ هذا الكتاب، «رائحة الوصال»، الذي نسأل الله تبارك وتعالى أن يُوَفّق روّاد الحقيقة وطالبيها للانتهال منه حتى يُحقق لهم الاتصال والوصال بالعترة من أهل الكساء عليهم السلام.

وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة محاضراتٍ تم إلقاؤها عام ١٣٧٧ هـ.ش الموافق لعام ١٤١٩هـ.ق وجرى تفريغها وجمعها ضمن خمسة عشر «شذا» تناولت مطلبين اثنين: الأوّل هو تبيانٌ لخصائص حديث الكساء المبارك والثاني شرحٌ للفرق بين الوَلاية والوِلاية، فضلاً عن بعض المباحث الأخرى ذات الصلة. وقد تمّ توثيق هذا الكتاب بالروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

ونسأل الله عيش السعداء وموت الشهداء ومرافقة العليين محمّد صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

---

(١) وقد نُقلت عبارة الإمام عليه السلام بطريقة مختلفة: «يا حار إنك ملبوس عليك إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه والباطل باجتناب من اجتنبه». نهج السعادة ج١ ص٢٩٨ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1]

آثار حديث الكساء[2]

يتمحوّر موضوع نزول هذه السورة المباركة حول المقام الشامخ

---

(١) سورة الكوثر.

(٢) رواه الثقة الجليل الشيخ عبدالله البحراني صاحب كتاب «العوالم» بسندٍ متّصل بثلةٍ جليلة من علماء الطائفة متصلاً بالشيخ الكليني بسند معنعن إلى جابر بن عبدالله الأنصاري، قال البحراني: «رأيت بخطّ الشيخ الجليل هاشم البحراني عن شيخه الجليل السيّد ماجد البحراني عن الشيخ الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي عن شيخه المقدّس الأردبيلي عن شيخه عليّ بن عبد العالي الكركي العاملي عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائري عن الشيخ أحمد بن فهد الحليّ عن الشيخ عليّ بن الخازن الحائري عن الشيخ ضياء الدين عليّ ابن الشهيد الأول العاملي عن أبيه عن فخر المحققين عن شيخه المحقق عن شيخه ابن نما الحليّ عن شيخه محمد بن إدريس الحليّ عن ابن حمزة الطوسي صاحب «ثاقب المناقب» عن الشيخ الجليل محمد بن شهر آشوب عن الطبرسيّ صاحب الإحتجاج عن شيخه الجليل=

للصدّيقة الطاهرة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام[١]. ويُعتبر حديث

=الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي عن أبيه شيخ الطائفة الحقة عن شيخه المفيد عن شيخه ابن قولويه القمي عن شيخه الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي عن أبي بصير عن أبان بن تغلب عن جابر بن عبدالله الأنصاري رحمهم الله تعالى جميعاً أنّه قال: «بسم الله الرحمان الرحيم: سمعت السيّدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها قالت: دخل عليَّ أبي رسول الله في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلت: وعليك السلام يا أبتاه، فقال: إني لأجد في بدني ضعفاً...» إلى آخر الحديث الشريف، مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي. ولا ريب في متانة ووثاقة سند حديث الكساء هذا، وعلى فرض ضعفه (وفرض المحال ليس بمحال) فإنّ الدلالة متوافقة مع الكتاب والسّنّة، مضافاً إلى أنه لا يُشترط قوة السند في أخبار الفضائل والمعاجز كما لا يُخفى على المحققين الفقهاء.

(١) ولقد ورد في تفسير سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أنّ الكوثر هي فاطمة الزهراء سلام الله عليها، والكوثر معناه الخير الكثير. ويعني ذلك أنّه لكثرة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة إبنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها خاطب القرآن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بأنّ له الكوثر كرامةً من الله تعالى له. قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: إنّ كثرة ذرّيته هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبّي صلى الله عليه وآله أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذرّيّة مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ خالياً عن الفائدة. وقد استفاضت الروايات أنّ السورة إنّما نزلت فيمن عابه صلى الله عليه وآله بالأبتر بعدما مات ابنه القاسم وعبدالله، وبذلك يندفع ما قيل: إنّ مراد الشانيء بقوله «أبتر» المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير، فردّ الله عليه بأنّه هو المنقطع من كلّ خير. ولما فيه قوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ من الامتنان عليه صلى الله عليه وآله جيء بلفظ المتكلّم مع الغير الدالّ على العظمة، ولما فيه من تطييب نفسه الشريفة أُكّدت الجملة بـ«إنّ»، وعُبّر بلفظ الإعطاء الظاهر في التمليك. والجملة، لا تخلو من دلالة على أنّ وِلْدَ فاطمة عليها السلام ذرّيّته صلى الله عليه وآله، وهذا في نفسه من ملامح القرآن الكريم، فقد كثّر الله تعالى نسله بعد كثرة لا يعادلهم فيها أيّ نسل آخر، مع ما نزل عليهم من النوائب، وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعة. العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ج٢٠ ص٣٦٩.

الكساء المبارك من ذخائر الشيعة، إذ ببركته تُشفى الآلام وتُقضى الحاجات وتُرفع الهموم والغموم، ومن آثاره تحقّق المعجزات. فإذا واظب الناس[١] على قراءته في بيوتهم أو في الأماكن التي يتواجدون فيها يومياً، ينجون من البلاءات التي لا تجد طريقها إليهم ولا إلى مجتمعاتهم أبداً. أمّا الضامن لآثار حديث الكساء، فهو الذات الربوبية المقدسة نفسها وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، بمقامه النبويّ والرساليّ الشامخ، إلى جانب بقية الأئمة عليهم السلام.

ويخاطب جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ في آخر الحديث قائلاً: «العليّ الأعلى يقرئك السلام ويخصّك بالتحيّة والإكرام»، ثم يُبيّن له ﷺ خصائصَ هذا الحديث، مؤكِداً أنه حين يلتئم جمعٌ من الشيعة في مجلس ما ويتوفر الحضور القلبي لديهم[٢]، يُقسِم الله بعزّته وجلاله أن يُذهِب عنهم الغمّ والحزن ويقضي حوائجهم. وكما هو حال كلّ المفاهيم المعنوية، يحتاج حديث الكساء إلى التوضيح، فما هو أصل قضية حديث الكساء الذي ينقله جابر بن

---

(١) قال رسول الله ﷺ: إنّ أحبَّ الأعمال إلى الله عز وجل أدومُها وإنْ قلَّ، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإنّ الله لا يملّ حتى تملوا. الأمالي، الشريف المرتضى، ج١، ص٤١.

(٢) المقصود هو حقيقة الإجتماع القلبي وفي رسالة صاحب الزمان عليه السلام للشيخ المفيد: «لو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتّصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم...»، الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٤٩٨.

عبدالله الأنصاري[١] ويتمحور حول الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

ينتشر حديث الكساء بين الناس، حيث يقرأونه في بيوتهم، تطهيراً لها من الآفات والخلافات وزيادةً للبركة، وهذا هو الأصل. ولكن هناك من لا يدري معاني حديث الكساء ومعارفه وحقائقه ويُثير الإشكالات حوله، فيتساءل عن سنده ويشكِّك[٢] في

---

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو الأنصاري الخزرجي، وكنيته «أبو عبدالله» من أعلام القرن الأوّل الهجري. وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليّ والحسن والحسين وزين العابدين عليهم السلام. من أقوال الأئمة فيه: قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ جابر بن عبدالله الأنصاري كان آخر مَن بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت. الكافي ج١ ص٤٦٩ ح١. وقال محمّد بن مسلم وزرارة: «سألنا أبا جعفر عليه السلام عن أحاديث فرواها عن جابر، فقلنا: ما لنا ولجابر؟ فقال: بلغ من إيمان جابر أنّه كان يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾. رجال الكشّي ج١ ص٢٣٤ ح٩١. ويعتبر جابر من رواة الحديث في القرن الأوّل الهجري، فقد روى أحاديث عن رسول الله، والإمام علي عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، كما روى عنه الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) قال الباقر عليه السلام: أما والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، **وإنّ أسوأهم عندي حالاً، وأمقتهم إليّ الذي إذا سمع الحديث يُنسب إلينا ويُروى عنا فلم يعقله، ولم يقبله قلبه، اشمأزّ منه وجحده، وكفر بمن دان به، وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند فيكون بذلك خارجاً من ولايتنا.** جواهر البحار ص١٨٦. وقال الباقران عليهما السلام في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: **دين الله الذي نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله صراط الذين أنعمت عليهم فهَدَيتهم بالإسلام وبولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولم تغضب عليهم ولم يضلّوا، المغضوب عليهم اليهود والنصارى والشُكَّاك الذين لا يعرفون إمامة المؤمنين والضالين عن إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.** رواه ابن شهر آشوب في «المناقب»، ج٣ ص٧٣. وفي حديث آخر: =

صحّته، وكذلك يفعل مع كل من يلتفت إلى الجانب الباطني للأمور[١]. فالقاعدة عند الناس هي إثارة المشكلات[٢] حول كل من يسلك في طريق الله ويُوفَّق للوصول إلى مقام الصدّيقين[٣]، ومردّ هذا الأمر إلى أنّ البشر مبتلون[٤]، فهم يضيّعون أولياء الله ولا يعرفونهم.

=«... ولقد قال لنا رسول الله ﷺ حين أخبرنا بهذا الخبر أنّ إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته فيقول: **يا معاشر الشياطين، قد أدركنا من ذريّة آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم حتى تستحكم[وا] ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج**، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب، أنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر...»، كامل الزيارات، باب ٨٨، ص ٢٧٣. ومن كلام لأمير المؤمنين ﷺ: **يا سلمان إنّ الشّاك في أمورنا وعلومنا كالمستهزئ في معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله ولايتنا في كتابه في غير موضع وبيّن ما أوجب العمل به وهو مكشوف**. إرشاد القلوب ج٢ ص٢٢٨. وانبراز الشبهات وسيطرة الشكوك هي وليدة الارتواء الذاتي من النفس المتسرّعة في الحكم ومن نخسات الكدر الذي يُشوّش على الرؤية فيُغرقها بظلمة الأوهام والتفسير الخاطئ.

(١) ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، سورة الروم، آية ٧.

(٢) عن عليّ بن الحسين ﷺ: إنّ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب إلاّ بالتسليم، فمَن سلّم لنا سَلِمَ ومَن اقتدى بنا هُدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً ممّا نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم. كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٢٤، مستدرك الوسائل، ج١٧ ص٢٦٢ ح٢١٢٨٩.

(٣) مقام الصديقين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾، سورة الحديد، آية ١٤. وفي المعجم: الصدّيق: الملازم للصدق في القول والفعل والصحبة.

(٤) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، سورة الملك، آية ٢.=

الرؤية لإدراك الحقيقة

لقد ذُكِرَت سبلٌ متعدّدة للوصول إلى الحقائق، وما يرتبط بها، ومنها السبيل الحسّيّ. فأشار البعض إلى ضرورة توفّر الرؤية لبلوغ الحقيقة والوصول إلى مقامات معنوية وإلهيّة وربانيّة عالية، لأنّ الإنسان يُطعَّمُ بالحقيقة عن طريق رؤية الآيات والإشارات والمعالم الإلهية. ولذلك، قال موسى النبيّ عليه السلام: ﴿أَرِنِي﴾[1]، إذ اشتملت هذه الكلمة على طلب الرؤية. وتُعتبر الرؤية نفسها بعداً من أبعاد تشفّي القلوب، غير أنها ليست هي المقصد لأنّ هناك ما هو وراء تلك الرؤية. أما إذا اكتفى الإنسان بالرؤية، فسيبقى قاصراً عن الوصول إلى الحقيقة. وبالتالي، الرؤية بحدّ ذاتها ليست كافية، لأنها مجرّد وسيلة وواسطة لإدراك الحقيقة.

قال موسى: ﴿أَرِنِي﴾، فقال الحق تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ما يعني أنّ الرؤية لا تكفيك. وقطعاً، ليس المقصود بهذه الرؤية مجرد النظر بواسطة العينين، بل إنّ العين تُستخدم هنا لإعمال القلب الذي هو مرآة صافية ولكن يكسوها الغبار. ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[2]، هذه هي الرؤية المقصودة، وأهل القلب يرون، إلا أنّ

=«نحن الباب المبتلى به الناس»، بحار الأنوار، ج٩٩ ص١٥١. «والباب المبتلى به الناس»، الزيارة الجامعة، مفاتيح الجنان. ومن كلام للإمام الباقر عليه السلام: «أيها الناس إنّ أهل بيت نبيكم شرّفهم الله بكرامته... وهم الباب المبتلى به، من أتاه نجا ومن أباه هوى...»، بحار الأنوار ج٢٦ ص٢٥٥.

(١) ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾، سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٢) سورة النجم، آية ١١.

هذه الرؤية بحدّ ذاتها لا تكفي. وبالتالي، تعتبر الرؤية إحدى طرق الإرتباط بالحقيقة، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[١]، فالرؤية وحدها لا تكفي، ولكن ثَمّة ما يكشف عن الحقائق من وراء هذه الرؤية[٢].

إدراك الحقيقة عبر السّمع

وبالإضافة إلى الرؤية، هناك طريق آخر لإدراك الحقائق وهو السمع. فقد تعرّف الأنبياء على الحقائق عن طريق سماع الوحي[٣]. ومن خلاله، إرتبطوا بذلك الوحي. ذلك أنّه خلف السماع حقيقة أخرى فليس هو الغاية بحدّ ذاته.

حقيقة «العليّ الأعلى»

وفي الواقع، لا فائدة من قراءة حديث الكساء إذا لم يُعرف سرّه. وقد باح جبرائيل للرسول الأعظم ﷺ بذلك السّر: «العليّ الأعلى يُقرئك السلام»، أي أنّ تشكيل حديث الكساء وظهوره ليسا إلّا من أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، فهو من أوجد ذلك

---

(١) سورة الإسراء، آية ١.

(٢) من معاني «رأى»: إعتقد (معجم المعاني). وعليه، الرؤية سببٌ للاعتقاد.

(٣) أنواع السماع. من معاني سمع: تدبّر وأطاع (معجم المعاني). وعليه، السماع سببٌ للتدبّر والطاعة.

(٤) تنزله وظهوره الأولي، ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، =

المشهد[١]، و«السلام»[٢] هو اسم الحق الذي يتجلّى بالظهور

=وأمر الله هو الإمام. عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: كنّا عند النبي ﷺ إذ دخل علي بن أبي طالب ﷺ فقرّبه النبي ﷺ فتعانقا حتى أنهما صارا شخصاً واحداً فتفقدنا أمير المؤمنين ﷺ فلم نجد له عيناً ولا أثراً فزدنا تعجباً فقلنا: يا رسول الله ما الذي جرى لابن عمك؟ وما نراك إلا وحدك! قال: فتبسم النبي ﷺ وقال: يا قوم، أما سمعتم مني أني أنا وعلي من نور واحد، ولما تعانقنا اشتاق هو إلى المنزل الأول من نورنا فامتزج نوره بنوري حتى بقينا شخصاً واحداً كما ترون. قال: فلما سمعنا ما قال النبي ﷺ رعبت قلوبنا واصفرّت وجوهنا وقد طالت غيبة أمير المؤمنين ﷺ فقالوا: يا رسول الله، بحق من أرسلك بالحق إلا ما أخبرتنا كيف صار علي ﷺ فأحضِرْه إلينا حتى يزول الشك من قلوبنا فقال رسول الله ﷺ: عليّ مني وأنا من عليّ، فرأينا قد جلّله العرق فظهر من جبهته مصباح من نور حتى ظنّنا أنه نار قد عمّت المشارق والمغارب فاشتدّ فزعنا حتى ظننا أن كلنا نحترق وأهل الأرض كلهم يحترقون من نور ذلك المصباح فلما رأى النبي ﷺ حالنا صرخ صرخة وقال: أين قيوم الأملاك؟ أين مدبر الأفلاك؟ أين مبدع الكائنات؟ أين حقيقة الموجودات؟ أين عالم الغيب والمكاشفات؟ أين الصراط المستقيم وبغضه عذاب أليم؟ أين أسد الله؟ أين الذي دمه دمي؟ ولحمه لحمي؟ وروحه روحي؟ أين الإمام الهمام؟ قال: فإذا بصوت علي ﷺ ينادي لبيك لبيك يا سيّد البشر! فلما سمعنا صوته جعلنا ننظر إليه من أين يظهر وإذا به قد ظهر من جنب النبي الأيمن وهو يقول لبيك لبيك. قال جابر لما غاب عليّ ﷺ في النبي ﷺ وظهر منه سألته كيف دخوله وخروجه منك يا رسول الله؟ قال: فقال يا جابر: إن غيبة علي ﷺ كانت أمراً يعلمه الله وهو إنه لما التصق صدره بصدري امتزج لحمه بلحمي ودمه بدمي ونوره بنوري كما كنا في موطننا الأول قبل هذه الهياكل البشرية حتى صرنا هناك كذلك شخصاً واحداً بإذن الله تعالى. صحيفة الأبرار ج٢ ص١٣٣.

(١) بولايته.

(٢) ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، سورة القدر، آية ٥. وليلة القدر هي السلام، فعن أبي عبدالله الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سُمّيت فاطمة لأنّ الخلق فُطموا عن معرفتها. بحار الأنوار، ج ٤٢ و١٠٥.

الفاطمي. وبالتالي، يُؤتي حديث الكساء آثارَه في إذهاب الغمّ والغصّة والبلاء والحزن حين تُفهم عبارة «العليّ الأعلى». يا رسول الله، لا مفهوم لهذا المشهد ولا للوحي والقرآن وجبرائيل والرسالة والقيامة، خارجَ محيطِ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ذلك أنّه ينبغي أن تدور جميع الأشياء والحقائق في فلك قدرة أمير المؤمنين[١] عليه السلام حتى تكون صحيحة وإلّا فلن يكون لها أثر، وينطبق هذا الواقع على حديث الكساء. وعند فهم هذه النقطة، يتوافر حضور القلب حتى ولو لدى شيعيّ واحدٍ فقط من الجالسين. ولهذا السبب، اشترطوا قراءته في جمعٍ من الشيعة الحاضرة قلوبهم، إذ قد يكون هناك واحد من بين الموجودين استطاع الوصول إلى مقام معرفة عليّ عليه السلام والوَلَه به (وبذل الروح بين يديه)، كفاطمة عليها السلام التي ضحّت بروحها وقدّمتها بين يديّ عليّ عليه السلام، حتى باتت قربانَ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

السرّ الظاهريّ والغيبيّ لحديث الكساء

تُعتبر مرتبة «**العليّ الأعلى**»[٢] إحدى المراتب التي يكون فيها

---

(١) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... وهل يُعرف أو يوصف أو يُعلم أو يُفهم أو يُدرك شأن من هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسرّ الممكنات وشعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء...»، لوامع أنوار التمجيد، للشيخ رجب البرسي، كتاب مسند الإمام علي عليه السلام ج٩ ص٣٣، مشارق أنوار اليقين ص١١٤، تفسير البرهان ج٣ ص٣٦٨، بحار الأنوار ج٢٥ ص١٦٩.

(٢) أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبدالله، عن محمد بن عبدالله وموسى بن عمر، والحسن بن علي بن عثمان، عن ابن سنان قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: =

الإسم والصفة متجلّيَيْن في الوليّ المطلق أمير المؤمنين عليه السلام. وينطوي حديث الكساء على الغيب العلوي في حين يظهر فيه دور السيدة فاطمة عليها السلام بالشهود، وذلك لأنّه مشتملٌ على اسمها، مع العلم بأنّ أدوار السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام غالباً ما تكون غيبية. ويعود ظهور الصديقة الطاهرة عليها السلام، في حديث الكساء، بالشهود

=هل كان الله عز وجل عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق؟ قال: نعم، قلت: يراها ويسمعها؟ قال: ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها، هو نفسه ونفسه هو، قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمّي نفسه، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يُدع باسمه لم يعرف، **فأول ما اختار لنفسه: العلي العظيم لأنه أعلى الاشياء كلها، فمعناه الله واسمه العلي العظيم، هو أول أسمائه، علا على كل شيء**. الكافي ج١ ص١١٣. وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: من عبدالله بالتوهّم فقد كفر، ومن عبد الإسم ولم يعبد المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وفي حديث آخر: (أولئك هم المؤمنون حقاً). توحيد الصدوق ص٢٢٠ ح١٢. وعن هشام بن الحكم، أنه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله ممَّ هو مشتق؟ فقال: يا هشام، الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمى، فمن عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟ قال: قلت: زدني قال: لله تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يُدلُّ عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره، يا هشام، الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام. قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا. نفس المصدر والصفحة ح١٣.

إلى ورود الخاصيّة الآتية: «هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها»[١]. أما الدور الغيبيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا الحديث فيُستدَلّ عليه بعبارة: «العليّ الأعلى يقرئك السلام». وبالتالي، يتمثّل السرّ الباطنيّ في حديث الكساء بأمير المؤمنين عليه السلام بينما يتمحور ظاهره حول فاطمة الزهراء عليها السلام. فواضع مشهد حديث الكساء برمّته وصاحب الدور الغيبيّ فيه هو أمير المؤمنين عليه السلام. وهكذا، إذا قرأتم حديث الكساء بالتوجّه إلى هذا المعنى، لا بدّ أن تستفيدوا من خاصيّاته. أما في حال لم يستفد الإنسان من ظهور الولاية في تعيّن أدوار الخلقة، فسيبقى دائماً محطّ ابتلاءٍ من قِبَلِ مَن يسبّب له المشكلات والهموم والغموم، وإنّما يعود هذا الأمر إلى عدم قبوله بالولاية. لقد أضعنا الولاية ومجراها ولم نعثر على تعيّنها في الخارج، وليس ما يجري من أحداث وابتلاءات إلّا عواقب لتضييعنا طريق الولاية هذا.

لقد كان كلّ من سلمان والمقداد وابن تيهان[٢] وعمّار وعدد من شبّان بني هاشم متواجدين أثناء تلك الحادثة. كم كان مشهداً عجيباً! لقد قيّدوا أمير المؤمنين عليه السلام وجرّوه بالحبال. ولكن، ما هو السر وراء التزام أمير المؤمنين عليه السلام الصمت؟ كان يمتلك

---

(١) الفرق بين الشهود والغيب: كل شيء يقع تحت حواسنا فهو عالم مشهود (مرئيات، مسموعات، مشمومات)، أمّا كل ما لا يقع تحت الحواس فهو غيب.

(٢) ابن تيهان هو مالك ابن تيهان الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قتل في معركة صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام.

القدرة الظاهرية والباطنية على السواء ولكنه لم يُعمِلها[١]. وحتى الآن لم يتمكّن أحد في العالم من فهم الأسرار العميقة التي اكتنفت ظاهر هذه الحادثة وباطنها وبالتالي، بقي الكلّ عاجزاً عن تفسير ما حدث. جاءت السيدة فاطمة عليها السلام، التي قيل في حقّها: «وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»[٢]، وأمسكت بحزام أمير المؤمنين عليه السلام لتشجيع الهاشميين على الإتيان بحركة ما. ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى السيدة فاطمة عليها السلام ـ وهنا تظهر رابطة النظر ـ فذهبت عليها السلام لتقف بمحاذاة الحائط[٣].

---

(١) قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: ألم يكن علي قوياً في بدنه قوياً في أمر الله؟ قال له أبو عبدالله عليه السلام: بلى! قال له: فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، مَنع علياً من ذلك آيةٌ من كتاب الله، فقال: وأي آية؟ فقرأ: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة الفتح، آية ٢٥) إنه كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين فلم يكن علي عليه السلام ليقتل الآباء حتى يخرج الودائع، فلمّا خرجت ظهر على من ظهر وقتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لم يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله فإذا خرجت يظهر على من يظهر فيقتله. بحار الأنوار ج ٢٩ ص٣٢٨.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٠٥ ح١٩.

(٣) ... فأخذت (السيدة فاطمة عليها السلام) بيد الحسن والحسين عليهما السلام وخرجت تريد قبر النبي صلى الله عليه وآله فقال عليّ لسلمان: أدرِك ابنة محمد صلى الله عليه وآله فإني أرى جنبَتَي المدينة تكفيان، والله إنْ نشرت شعرها وشقّت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربّها، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها، فأدركها سلمان فقال: يا بنت محمد إن الله إنما بعث أباك رحمة فارجعي، فقالت: يا سلمان يريدون قتل عليّ! مالي على عليٍّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي! فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة، وعليٌّ بعثني إليك ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك وتنصرفي، فقالت: إذاً أرجع وأصبر، وأسمع له وأطيع. العياشي ج٢ ص٦٦، والإختصاص للمفيد ص١٨٥.

وفي كربلاء، قاتَلَ الإمام الحسين عليه السلام الأعداء وكذلك فعل أبو الفضل عليه السلام وشباب بني هاشم الذين أظهروا شهامةً وشجاعةً كبيرتين. أما في قضية إخراج أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يقاتل أحدٌ وظلّ سيف أمير المؤمنين عليه السلام في غمده ولم يأتِ بأيّ فعل. أشهد بأنّك أول مظلوم قد قتل.

لم يكتمل البحث، فقد ذكرنا طريقين مرتبطين بالحقيقة: الأول هو الرؤية والثاني هو السّماع، ولكن هناك طريق آخر برز في حديث الكساء وهو طريق الشمّ.

إدراك معاني ومفاهيم «حديث الكساء»

لنَيْل آثار حديث الكساء، يُشترط إدراك معاني ومفاهيم هذا الحديث النوراني الشريف. فلو نادى المرء شخصاً يحمل اسم «حسن» أو «حسين»، لن يستجيب له صاحب الاسم ويلبّيه إلّا إذا سمع اسمه على لسان المنادي. وهكذا، ينطبق الأمر نفسه على أسماء الجلالة، إذ يُفتَرض أن يكون التلفظ باسم «الله» متبوعاً بكلمة «لبيك». وفي زيارة الإمام المفترض الطاعة نقول: أشهد أنك تسمع كلامي وتردّ سلامي. إذاً، لمَ لم يأتِ الردّ على سلامنا حتى الآن؟ لأننا لم نسلِّم بعد. فما معنى «السلام»؟ هل هو مجرّد لفظٍ، أم هو لفظٌ يشتمل على معنى؟ ممّا لا شكّ فيه، أنّ هذا «السلام» يتضمّن مفهوماً ومعنى. فالسّلام هو اسم والتلفّظ بهذا الاسم مع الدراية بمعناه الضمنيّ، لا بدّ أن يتبعه الجواب، ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[1]. ولا يَبعُد البحث المرتبط بحديث الكساء

---

(١) سورة الحجر، آية ٤٦.

عن هذه المقدّمة، فالحديث يشتمل على مفهوم ومعنى وحقيقة[١]، وفيه يُقسِم الله بعزّته وجلاله أن يُذهب الهمّ والغمّ عن كل أفراد المجلس الذي يُقرأ فيه هذا الحديث ويقضي حاجاتهم. وهنا، تجدر الإشارة إلى أن قراءة الحديث بشكل فردي، وليس ضمن جماعة من الشيعة المحبّين لأهل البيت عليهم السلام، لا تُحقق النتائج المرجوّة منه.

الرواية والإرتواء

وأوّل عبارة نقلها جابر في هذا الحديث هي: «سمعتُ فاطمة أنّها قالت». فيتوجّب علينا، حين نسمع حديث الكساء، أن نتلقّاه كما تلقّاه جابر.

وكذلك هو الحال بالنسبة إلى الروايات، إذ لا فائدة من مجرّد مطالعتها وحفظها[٢]. وفي هذا المورد، لا تحمل حتى الإجازات

---

(١) المفهوم هو ما يُفهم من اللفظ أما المعنى فهو ما يُقصد من اللفظ والحقيقة هي الواقع المقصود من المتلفِظ. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء. ميزان الحكمة، ج٣ ص٢٥٣١.

(٢) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عمن حدثه، عن المفضل بن عمر قال: قلت لابي الحسن عليه السلام: روينا، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: إنّ علمنا غابر ومزبور ونكتٌ في القلوب ونقرٌ في الاسماع، فقال أما الغابر فما تقدّم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام وأما النقر في الاسماع فأمر الملك. أصول الكافي، ج١ ص٢٦٤. وعن الإمام الصادق عليه السلام: ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما هو نورٌ يقع في قلب مَن يريد اللهُ أن يَهديَه، فإذا أردتَ العلم فاطلبْ أوّلاً في نفسك=

الروائية، التي تمنحها الحوزات الدينيّة، أية أهمية (بعالم الحقيقة والواقع)[١]. وتعني الرواية أن يرتوي الإنسان من المنشأ والينبوع الزلال حتى تودَعَ تلك الرواية في وجوده، فأصل معنى الروايات هو الإرتواء. أما الراوي، فهو الشخص الذي يروي نفسه والآخرين معه، وهذا هو الأصل من مفهوم الروايات. فإذا لم تُؤمِّن الرواية غذاءَ الروح، لا يُقال عمّن أسمعها للناس إنه روى رواية، بل يقال إنه قرأ عليهم قول الإمام عليه السلام فقط. والكتاب يمنح الإنسانَ المعلومات ولكنه لا يمنحه أثرَ الروايات، فكلّ ما يُقرَأ يُنسى إلا حديث العشق الذي يتكرّر على الدوام. فنحن حتى اليوم، لم نقرأ آيةً واحدة من القرآن الكريم[٢] بل إنّ كل ما نفعله هو حفظ آيات هذا القرآن فحسب. ولذلك، يقول الله عز وجل في محكم كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ﴾، فمن يصل إلى الألف فحسب، يفهم القرآن كلّه.

=حقيقة العبوديّة، واطلب العلمَ باستعماله، واستفهم اللهَ يُفهِمْك. مشكاة الأنوار للطبرسي علي بن الحسن ص٣٢٦، مُنية المريد للشهيد الثاني ص١٤٩.

(١) في كتاب معاني الأخبار: ٢/١ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا بني، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فانّ المعرفة هي الدّراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان.

(٢) إنّ القرآن، بحسب الحصر العقلي، له أربعة وجودات: لفظي وكتبي وذهني وواقعي عيني، وهذا الذي له الحقيقة الأصلية والذي تترتب عليه الآثار الواقعية، ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ (سورة العنكبوت، آية ٤٩)، فهو موجود في صدور وقلوب الأولياء فحسب.

العلاقة بين النظرة والانتظار

وبالعودة إلى حديث الكساء، قُلنا إنّ العين، اللازمة للرؤية، هي إحدى طرق الارتباط بالحقائق[١] من خلال الحواسّ الظاهرية الخمس. فرؤية الإنسان لأمورٍ معيّنة من شأنها أن تربطه بالحقيقة.

---

(١) أخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى قال: حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام قال: حدثني أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم، عن أبيه، عن بعض رجاله، عن الحسن بن شعيب عن محمد بن سنان، عن يونس بن ظبيان، قال: استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فخرج إليَّ معتب فأذن لي، فدخلت ولم يدخل معي كما كان يدخل، فلما أن صرت في الدار نظرت إلى رجل على صورة أبي عبدالله عليه السلام فسلّمت عليه كما كنت أفعل، قال: من أنت يا هذا؟ لقد وردت على كفر أو إيمان؟ وكان بين يديه رجلان كأن على رؤوسهما الطير، فقال لي: أدخل، فدخلت الدار الثانية، فإذا رجل على صورته عليه السلام وإذا بين يديه خلق كثير كلهم صورهم واحدة، فقال: من تريد؟ قلت: أريد أبا عبدالله عليه السلام فقال: قد وردت على أمر عظيم، إما كفر أو إيمان! ثم خرج من البيت رجلٌ قد بدا به الشيب، فأخذ بيدي، فأوقفني على الباب وغشي بصري من النور، فقلت: السلام عليكم يا بيت الله ونوره وحجابه، فقال عليه السلام: وعليك السلام يا يونس، فدخلت البيت فإذا بين يديه طاثران يحكيان، فكنت أفهم كلام أبي عبدالله عليه السلام ولا أفهم كلامهما، فلما خرجا قال عليه السلام: يا يونس، سلْ نحن محل نور الله في الظلمات، ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمناً، نحن عترة الله وكبرياؤه، قال قلت: جعلت فداك، رأيت شيئاً عجيباً، رأيت رجلاً على صورتك! قال عليه السلام: يا يونس، إنا لا نوصف، ذلك صاحب السماء الثالثة يسأل أن أستأذن الله له أن يصير مع أخ له في السماء الرابعة، قال فقلت: فهؤلاء الذين في الدار؟ قال: هؤلاء أصحاب القائم من الملائكة، قال قلت: فهذان؟ قال: جبرئيل وميكائيل، نزلا إلى الأرض، فلن يصعدا حتى يكون هذا الامر إن شاء الله وهم خمسة آلاف. يا يونس، **بنا أضاءت الأبصار وسمعت الآذان ووعت القلوب الإيمان**. بحار الأنوار ج٥٦ ص١٩٦ باب٢٣ ح٦٢.

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام «النظر إلى الكعبة عبادة والنظر إلى الوالدين عبادة والنظر إلى الإمام عبادة»[١] والنظر إلى الماء عبادة[٢].

انظروا إلى الماء لأنّه الصورة المثالية[٣] لولاية أمير

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٢ ص٣١٢. ومن حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله: «...ولكن ألا أخبركم بمن هو أقل من صاحبكم بضاعة، وأسرع منه كرة، وأعظم منه غنيمة، وما أعد له من الخيرات محفوظ له في خزائن عرش الرحمان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنظروا إلى هذا المقبل إليكم، فنظرنا فإذا رجل من الأنصار رث الهيئة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا لقد صعد له في هذا اليوم إلى العلو من الخيرات والطاعات ما لو قسّم على جميع أهل السماوات والأرض لكان نصيب أقلهم منه غفران ذنوبه ووجوب الجنة له، قالوا: بماذا يا رسول الله؟ فقال: سلوه يخبركم عما صنع في هذا اليوم. فأقبل عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا له: هنيئاً لك ما بشّرك به رسول الله صلى الله عليه وآله فماذا صنعت في يومك هذا حتى كتب لك ما كتب؟ فقال الرجل: **ما أعلم أني صنعت شيئاً غير أني خرجت من بيتي وأردت حاجة كنت أبطأت عنها، فخشيت أن تكون فاتتني، فقلت في نفسي لأعتاضن منها النظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «النظر إلى وجه عليّ عبادة»** فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إي والله عبادة وأي عبادة، إنك يا عبدالله ذهبت تبتغي أن تكتسب ديناراً لقوت عيالك فقاتك ذلك، فاعتضت منه النظر إلى وجه عليّ وأنت له محب ولفضله معتقد، وذلك خير لك من أن لو كانت الدنيا كلها لك ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل الله، ولتشفعن بعدد كل نفس تنفسته في مصيرك إليه في ألف رقبة، يعتقهم الله من النار بشفاعتك». أمالي الصدوق ص٢١٧ و٢١٨.

(٢) لا يوجد نص بهذه الرواية ولكن يوجد روايات متعددة عن هذا الموضوع منها: قال الكاظم عليه السلام: ثلاثٌ يُجليْنَ البصر: النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن. الخصال ج١ ص٥٧. وقال أبو عبدالله عليه السلام: أربع يُضِئْن الوجه: النظر إلى الوجه الحسن، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الخضرة، والكحل عند النوم. مستدرك الوسائل، ج١ ص٣٩٨ ب٣٢ ح٩٧٤.

(٣) علي بن محمد بن مخلد الجعفي معنعناً عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى

المؤمنين عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]. وبالتالي، فإنّ الماء هو ولاية أهل البيت[٢] عليهم السلام التي هي أصل الحياة، ومنها وجود جميع الأشياء.

ينظر الإنسان إلى من يقف إزاءه قبل الحديث معه. «النظرة الأولى من الرحمن والنظرة الثانية من الشيطان»[٣]، إنّ تفسير هذا القول على أنّ النظرة الأولى إلى المرأة الأجنبية لا إشكال فيها

خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (سورة الفرقان، آية ٥٤) قال: خلق الله نطفة بيضاء مكنونة، فجعلها في صلب آدم، ثم نقلها من صلب آدم إلى صلب شيث، ومن صلب شيث إلى صلب أنوش، ومن صلب أنوش إلى صلب قينان، حتى توارثتها كرام الأصلاب ومطهرات الأرحام، حتى جعلها الله في صلب عبد المطلب، ثم قسمها نصفين: فألقى نصفها إلى صلب عبدالله ونصفها إلى صلب أبي طالب، وهي سلالة، فولد من عبدالله محمد صلى الله عليه وآله ومن أبي طالب علي عليه السلام فذلك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ زوج فاطمة بنت محمد، فعلي من محمد، ومحمد من علي، والحسن والحسين وفاطمة نسب، وعلي الصهر. بحار الأنوار ج٥٣ ص٣٦٠، عن تفسير فرات ص٢٩٢، غاية المرام ج٤ ص١١٦، تأويل الآيات ج١ ص٣٧٧.

(١) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

(٢) أحمد بن مهران، عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسني، عن موسى بن محمد عن يونس بن يعقوب، عمن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ (سورة الجن، آية ١٦)، قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماء غدقاً، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء عليهم السلام. الكافي ج١ ص٢٢٠ ح١.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام: «أوّل النظرة لك، والثانية عليك ولا لك، والثالثة فيها الهلاك». معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص١٢٧.

بينما يكون الإشكال في النظرة الثانية هو تفسير مبتذل، إذ ليس هذا هو المعنى من القول. والمعنى هو أنّ النظرة الأولى محمودة وتربط الإنسان بالحقيقة، ولكن ما إن يبدأ بالتفكير وينظر إلى المسائل ثانية، حتى يتدخّل الشيطان. ولذلك، تُضيِّع النظرة الثانية الكثيرَ من الحقائق وتُبعِد الإنسان كثيراً عن الطريق. فالنظر هو سبيلٌ لطلب الحقيقة والارتباط بها، وقد ينظر الإنسان نظرةً تُخوِّله الحصول على الكيفيّة التي تجعله مختصّاً بالله وبكل من يرتبط به.

أما تلك النظرة التي تشغّل معها كلّ الحواس فهي ليست بنظرة، إنما هي انتظار. ويتحقّق الانتظار حين ينعطف نظر الإنسان على معشوقه وتتسمّر عيناه على طريقه وباب بيته، بحيث لا يعود يلتفت حتى إلى كل من يناديه، وهذا ما تعنيه كلمة «انتظر». قال الحق تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾[1]، أي أنّ جميع أسمائي وصفاتي هي في خدمة ذلك المنتظَر. وبالتالي، إنّ كل الأسماء والصفات الإلهية مبذولة من أجل ذلك المنتظَر، فهل تستطيعون أنتم فعل ذلك؟

«أفضل الأعمال انتظار الفرج»[2]، فالانتظار هو أفضل من الصلاة والصيام والحجّ والجهاد ومن كل الأعمال الأخرى. ويتحقّق الإنتظار حين يلتفت الإنسان إلى نقطة معيّنة، فتتوقف أذناه

---

(١) سورة يونس، آية ١٠٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: بالأسانيد الثلاثة، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل. كما قال الإمام السجاد عليه السلام: انتظار الفرج من أعظم الفرج. الاحتجاج، ج٢ ص٤٩.

عن السمع وفكره عن العمل وقلبه عن التوجّه إلى أيّ جهة أخرى. ولكن، هذا يعني بأننا لسنا من المنتظرين على الرغم من أنه ينبغي مرافقة الله تعالى والتحرّك معه في ما يقوم به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

طريق الشمّ للارتباط بالحقيقة

وثمة مفهوم يُشبه مفهوم الانتظار في حديث الكساء، حيث تمَّ التطرّق إلى حاسّة الشمّ. فتارة تُستخدم العين وتارة أخرى تستخدم حاسّة الشمّ للارتباط بالحقائق. لقد دخل الإمام عليه السلام إلى منزل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وقال: «يا أمّاه، إنّي أشمّ» رائحة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. فتوجَّهَ بكلّ وجوده إليه، ولتنظروا ماذا تفعل ذرةٌ واحدة من الشمّ!

وهناك من بين عشاق رسول الله صلى الله عليه وآله من نال في العشق[2] مرتبةً أعلى من مرتبة سلمان وأبي ذر هو أويس القرني الذي لم يَنل فرصة رؤية الرسول صلى الله عليه وآله أصلاً. قالت له والدته: إذهب لرؤية رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن ارجع سريعاً. ذهب أويس القرني لرؤية رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنّه لم يجده، فعاد أدراجه. وعندما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله، إشتمّ رائحةً فقال: «إني أشمّ رائحة الرحمن»،

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٥٦.

(٢) لحاظ التفاضل في العشق: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣). ومن معاني التقوى: التجلّد والاصطبار عن كل ما يشغل القلب ويصرفه عن الحق و«العشق» هو تقوى خواص الخواص.

وهذا تأكيد من رسول الله ﷺ على أنّ ذلك العاشقَ كان عاشقاً حقيقياً عمِلَ بما ينسجم مع إرادة معشوقه، فأطاع والدته التي أمرتْه بالعودة في حال لم يجد رسول الله ﷺ. أتى وذهب، ولكنّ رسول الله ﷺ قال: «إني أشمّ رائحة الرحمن من جانب اليمن»[١].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام إنّ العاشق الذي يصل إلى الكمال في عشقه، يتمكّن من اشتمام رائحة التفّاح عند ضريح الحسين عليه السلام في ليالي الجمعة[٢]. ولكن لماذا رائحة التفاح

---

(١) في طرائف المقال ج٢، ص٥٩٧: وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبي ﷺ لكن منعه من القدوم برّه بأمه. واستشهد أويس وجماعة من أصحابه في الرجالة بين يدي عليّ عليه السلام، وقد ذكرنا أن أويساً كان راعياً للإبل ويأخذ الأجرة على الرعي، ويصرفها لأمه الصالحة الصادقة. فذات يوم استأذن من أمه أن يذهب إلى زيارة النبي ﷺ، فأذنت له لكن إن لم يكن النبي ﷺ في بيته فلا تتوقف وارجع معجلاً، فلما ذهب إلى زيارته ولم يكن في البيت رجع إلى اليمن، فلما أتى ﷺ إلى بيته رأى نوراً لم ير مثله، فسأل أنه هل أتى في درب البيت أحد؟ فأجيب جاء أحد من اليمن اسمه أويس، فحيّا وذهب. فقال ﷺ: نعم هذا نور أويس، جعله هديةً في بيتنا، وروى الأول في روضة الواعظين ص٢٨٩، وبحار الأنوار ج٣٨، ص١٥٦، وجامع الرواة ج١، ص١١٠، ووسائل الشيعة ج٢٠، ص ١٤٤، ومعجم رجال الحديث ج٤، ص١٥٤ وفي طرائف المقال ج٢ ص٥٩٢ وقال رسول الله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن»، بحارالأنوار ج ٣٢ ص٥٨٤ ووسائل الشيعة ج٢٠ ص١٤٤.

(٢) إن الحسن والحسين عليهما السلام دخلا على رسول الله ﷺ وبين يديه جبرائيل، فجعلا يدوران حوله يشبّهانه بدحية الكلبي. فجعل جبرائيل يُومي بيديه كالمتناول شيئاً، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمّانة، فناولهما وتهلّلت وجوههما، وسعيا إلى جدهما فأخذها منهما فشمّها، ثم قال: صيرا إلى أمّكما بما معكما فصارا كما أمرهما، فلم يأكلوا حتى صار النبي إليهم، فأكلوا جميعاً. وكلما أكلوا منها عادت كما هي حتى=

بالذات؟ ذلك لأنّ خلقة السيدة فاطمة عليها السلام كانت من «تفاحة الفردوس»[١]. وقد وصل سموُّ تلك الرائحة إلى حدّ أنّ عطر الحسين عليه السلام فاح من عطر السيدة فاطمة عليها السلام. وبإمكان كلّ من يمتلك حاسّة الشمّ هذه أن يميّز عشاق الحسين عليه السلام من خلال شمّ رائحة تربته في باطنهم، وهنيئاً لمن يمتلك هذه الحاسّة.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «أمّاه، إني أشمّ عندك رائحة طيبة

=قبض رسول الله صلى الله عليه وآله. قال الحسين: فلم يلحقه التغيير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى توفيت، فلما توفيت فقدنا الرمّان. وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي، فلما استُشهِد فُقِد السفرجل. وبقي التفاح على هيئته بعد استشهاد الحسن عليه السلام بالسمّ، وبقيت التفاحة إلى الوقت الذي مُنعتُ فيه من الماء، فكنت أشمّها إذا عطشت فيسكن عطشي، فلما اشتدَّ علي العطش عضضتُها وأيقنت بالفناء. قال علي بن الحسين عليه السلام: سمعته يقول ذلك قبل قتله ساعة، فلما قضى نحبه وجد ريحها في مصرعه. فالتمست فلم يُرَ لها أثر. فبقي ريحها بعد الحسين عليه السلام ولقد زرت قبره فوجدتُ ريحَها يفوح من قبره. فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فليلتمس ذلك في أوقات السحر، فإنه يجده إذا كان مخلصاً. بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤٣ ص ٢٨٩ و٢٩٠.

(١) ورد في زيارة السيدة فاطمة سلام الله عليها: «...صلّ على البتول الطاهرة الصديقة المعصومة التقية النقية الرضية المرضية الزكية الرشيدة المظلومة المقهورة المغصوبة حقها الممنوعة إرثها المكسور ضلعها المظلوم بعلها المقتول ولدها فاطمة بنت رسول الله وبضعة لحمه وصميم قلبه وفلذة كبده والنخبة منك له والتحفة خصصت بها وصيه، وحبيبة المصطفى وقرينة المرتضى وسيدة النساء ومبشرة الأولياء حليفة الورع والزهد **وتفاحة الفردوس والخلد التي شرفت مولدها بنساء الجنة...**»، بحار الأنوار، ج٩٧. وعن جابر بن عبدالله قال: قيل يا رسول الله إنك تلثم فاطمة وتلتزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟ فقال: **إن جبرئيل عليه السلام أتاني بتفاحة من تفاح الجنة فأكلتها فتحولت ماءً في صلبي، ثم واقعت خديجة فحملت بفاطمة فأنا أشمّ منها رائحة الجنة**. علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص١٨٣.

كرائحة جدي». فقد تجاوزَ العينَ والأذن وحاسّة اللّمس، وانتقل إلى حاسّة الشمّ التي هي الطريق الأسمى للإرتباط بالحقيقة، ذلك لأنَّ الشمّ يتحقق من مجرى السيّدة فاطمة عليها السلام. وقد شملت رحمة الله كل شيء في هذا العالم بمحبّة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله والارتباط بهم. ويتحقق هذا الارتباط عن طريق الشمّ.

وحين همَّ عليّ الأكبر بالنزول إلى الميدان، قام الحسين عليه السلام بشمّه. وهو كان قد اشتمّ رائحة أرض كربلاء حين وصل إليها[1]. (وكذا السيّدة زينب عليها السلام قامت بشمّ نحر سيد الشهداء عليه السلام، حين همّ بالنزول إلى الميدان).

---

(١) في رواية: «... ثمّ قال الحسين عليه السلام: ما يُقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كربلاء ويُقال لها أرض نينوى قرية بها. فبكي وقال: كرب وبلاء! أخبرتني أمّ سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت معي، فبكيتَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعي ابني. فتركتك، فأخذك وضعك في حجره، فقال جبرئيل: أتحبّه؟ قال: نعم. قال: فإنّ أُمّتك ستقتله. قال: وإنْ شئتَ أُريك تربة أرضه التي يُقتل فيها. قال: نعم. قالت: فبسط جبرائيل جناحه على أرض كربلاء فأراه إيّاها. **فلمّا قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلا شمّها (وفي رواية: قبض منها قبضة فشمّها)** وقال: هذه واللّه هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله، وإنّني أُقتل فيها. «تذكرة الخواص» ص٢٢٥. وفي رواية أخرى: عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب عليه السلام غزوة صفين، **فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها** ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب... «صفين» لابن مزاحم ص١٤٠ و١٤١. وعن إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر قبّل نحر فاطمة عليها السلام وقال: منها أشم رائحة الجنة. إحقاق الحق، ج١٠ ص١٨٥ ـ ١٨٦.

اتصال حاسّة الشمّ بالقلب

ولا يحتاج صاحب حاسّة الشمّ هذه إلى الدليل أو البرهان[١]، لأنّ لهذه الحاسّة ارتباطاً بالقلب والقلب ليس بحاجة إلى العلم. فحين عَلِمَ أويس القرني بأنّ معاوية يقاتل علياً عليه السلام، قال فوراً: إنّ الحقّ مع عليّ. فسأله الناس: كيف عرفت أنّ الحق مع عليّ من دون أي تحقيق؟ فأجاب قائلاً: إنّي أشمّ. وليس العشق إلّا هذا. حاسة الشمّ هذه تمنح الإنسان القدرة على معرفة الولي. وعلى من يريد الاهتداء بالقرآن من طريقٍ مغاير لطريق الولي، أن ينظر إلى ما حدث في معركة النهروان، حيث وقف الملعونون والخبثاء لقتال أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد يكون هناك من يحفظ القرآن ويعلم بالأحكام الدينية ويمتلك القدرة على التفقّه في الدين إلّا أنه يفتقر إلى حاسّة الشمّ. وكم هم كثرٌ الفقهاء الذين لا ولاية لديهم في هذه الأيام.

وبالتالي، تحتاج الولاية إلى حاسّة الشمّ. فمُنكِر الولاية، وإنْ كان فقيهاً، لا يهبه الله ذرةَ نورٍ واحدة[٢]. وقد خاطب الإمام

---

(١) ورد عن أبي ذر أنّه قال: «صلّيت قبل الإسلام قبل أنْ ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين، فقلت: لمن؟ قال: لله، فقلت: أين تتوجه؟ قال: أتوجه حيث يوجهني الله». الغدير، العلامة الأميني، ج٨، ص٣٠٨. ويُروى أن أبي ذر لمْ ير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولمْ ير أيّ معجزة منه على الإطلاق، وهذه هي حقيقة تصديق قول النبي والإمام، فما لم يصبح الإنسان واحداً مع تلك الحقيقة، لا يمكن أن يفهم شؤونها وآثارها وظهوراتها.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»، بحار الأنوار، ج٨٩ ص١٨٥.

الصادق عليه السلام أبا حنيفة قائلاً: «يا أبا حنيفة، والله ما ورّثك الله من كتابه حرفاً»[١]، وذلك على الرغم من أنه كان حافظاً للقرآن وعالماً بكل أحكامه.

(١) عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة: «أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فبأي شيء تُفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيه. قال عليه السلام: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم. قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد ادّعيت علماً. ويلك. ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وما ورثك الله تعالى من كتابه حرفاً». الوسائل: ٢٧ / ٤٧، باب ٦، الحديث: ٣٣١٧٧.

شهادة أمّ البنين عليها السلام

نكمل سلسلة بحثنا حول حديث الكساء. ولكن سنتحدّث في هذه الليلة، عن حضرة أم البنين عليها السلام تحديداً، إذ تصادف الليلة ذكرى شهادتها، وأستخدم تعبير «الشهادة» عن قصد[1]. وكون

---

(١) لفظ الشهيد يُطلق على كل من مات على حبّ آل محمّد، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً»، محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢ ص١٥١٧، الصواعق المحترقة ص٢٣٢. ويقول سماحة السيد أحمد النجفي: الشهيد هو اسم من أسماء الله تعالى يتجلى ويظهر بالموالي فيصبح مرآة لهذا الاسم. فمعنى «شهيد» أنه صار بتمام وجوده مشاهداً للحقائق ومتحققاً بها وشاهداً وشهيداً لها. وعندما يُقتل الشهيد في ساحة المعركة ويُقطع رأسه، يكون زمان ظهور الشهادة لديه هو في ذاك الوقت الذي ينخلع به عن المادة تماماً. فالشهيد هو اسم الله، وأسماء الله لا تموت في أي وقت من الأوقات. فليس الشهيد بمعنى المقتول وليس الشهيد بمعنى ذلك الذي انفصل رأسه عن جسده، إنما الشهيد هو المطّلع على الحقائق والأمور، وهو ذلك الذي عنده شهود عينيّ للحقائق. ولا يمكن القول بأن الله عنده شهود للحقائق ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، «وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته»، إذ لا يوجد شيء مثل الله. غير أنّ طبيعة وقوف الشهداء على الحقائق وفهمها هي من طبيعة ذلك الوقوف الإلهي.

السيّدة أمّ البنين هي أمّ باب الحوائج أبي الفضل العباس عليه السلام، يُفيد بأنها هي نفسها باب الحوائج أيضاً وبأضعاف لا نهاية لها. وفي هذه المناسبة، سأروي لكم القصة الآتية.

في ليلة شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، كنّا حاضرين في النجف الأشرف. وفي يوم شهادته، قصدنا مسجد الكوفة المشرّف. ومن المعلوم أنه في مسجد الكوفة، هناك محرابان يُنسبان لأمير المؤمنين عليه السلام، أحدهما يزوره الناس عادة، والثاني يقع في زاوية المسجد إلى الشمال من ذلك المحراب، باتجاه الضريحَيْنِ المطهّرَيْن لمسلم والمختار رضي الله عنهما. وعلى الرغم من أنّ هذا المحراب غير معروف جداً إلّا أنه المحراب الأصلي الذي تظهر منه الكثير من الآثار والعجائب.

وعندما تشرّفنا بالجلوس في ذلك المكان من المسجد، بدأنا بالبكاء على السيّدة أم البنين عليها السلام. وفجأة، رأيتُ أن هناك دعاءَ زيارةٍ مكتوباً بخطّ عربي جميلٍ على لوح كبيرٍ موضوعٍ بجانب المحراب. لفت انتباهي ذلك اللوح، فدنوْتُ منه ووجدتُ أنّ نصّ الزيارة يعود إلى السيّدة أم البنين عليها السلام. وقد التقط بعض الأصدقاء صوراً لذلك اللوح وقام البعض الآخر بكتابة النصّ الموجود عليه. وكنتُ على ثقةٍ بأنّ تلك الزيارة لم تكن عادية، فلا بدّ أن يكون أحد أولياء الله قد قام بكتابتها ووضْعِها في ذلك المكان بإذنٍ من صاحب الأمر عجل الله فرجه، ذلك لأنه لم ألتفت، قبل ذلك، لوجود تلك الزيارة في ذلك المكان.

وكانت قد حصلت معي حادثة سابقة جعلتني على يقين بأنّ دعاء الزيارة هذا لم يكن عادياً وربما يكون من إنشاء حضرة بقية الله الحجة بن الحسن عجل الله فرجه نفسه. ومن المعلوم أنّ كل المقامات المُعيّنة في مسجد الكوفة، كمقام الإمام الصادق والإمام زين العابدين عليهما السلام ومقام النبي نوح والنبي إبراهيم وغيرهما من الأنبياء على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاة والسلام، قد عيّنها السيد بحر العلوم بإشارةٍ من حضرة بقية الله عجل الله فرجه. ومن هنا، فقد يكون دعاء الزيارة قد وُضِع بنحوٍ مُشابه. ومن المعروف أنّ السيّد بحر العلوم هو من أعاظم أولياء الله ومن الحاظِين بالاتصال مع حضرة بقية الله عجل الله فرجه. فكما استطاع وليّ من أولياء الله تحديد مقامات الأئمّة والأنبياء في مسجد الكوفة، يستطيع أحد الأولياء كذلك أن يكتب زيارة حضرة أم البنين عليها السلام على هذا اللوح.

«عليّ صحيفة مغلقة لم يقرأها أحد»

وفي إحدى المرات، قصدتُ بغداد لزيارة أحد النواب الأربعة قبل نحوِ ثلاثين سنة، وقد أخبرني الموكَلون بالمكان بأنّ الباب كان مقفلاً في ذلك الوقت، حيث كان يُفتح نهاراً ويُقفل عصراً. حينئذٍ، توجّهنا لزيارة محمّد بن عثمان رضوان الله وسلامه عليه من وراء الجدار. وبالصدفة، عندما كنا نهمّ بمغادرة المكان قبل ساعة أو نصف ساعة من الغروب، رأيتُ الباب مفتوحاً وشاهدتُ رجلاً أو اثنين يؤدّيان الزيارة داخل المقام، وحين نظرتُ فوق الضريح المطهّر لذلك الرجل الشريف، رأيتُ قطعة خشبية مكتوب عليها:

«عليّ صحيفة مغلقة لم يقرأها أحد»، ممّا يعني أنّ الوجود المقدس لأمير المؤمنين ومولى الموالي عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو كتاب مغلق لم يقدر أحدٌ، من الأنبياء أو الأولياء أو الملائكة أو الخلفاء أو العلماء، قراءةَ أوراقه أو فتحَ صفحاته حتى الآن.

إذاً، كان ذلك أجرُ زيارتنا، حيث تعرّفنا على تلك الفضيلة التي لم أكن قد رأيتها قبل ذلك لا في الكتب ولا في المنقول من النصوص، فكانت أمراً خارجاً عن المألوف.

حضور أمّ البنين عليها السلام في البقيع

تشرّفنا، بعناية أحد الأصدقاء، بالسّفر إلى مكة المكرّمة. ولدى انتهائنا من أداء مناسك الحجّ، خاطبتُ صديقي قائلاً: لقد أدّينا مناسك الحجّ الواجبة، فعمّن نؤدّي العمرة بالإنابة؟ فقال لي: إختر من شئت. عندها، أخبرته بأني سأؤدّي مناسك الحجّ بالنيابة عن السيّدة أم البنين عليها السلام. ثم عدنا إلى المدينة المنوّرة، حيث قضينا يومين أو ثلاثة. ولكنّنا أحسَسْنا بالمرارة والحزن لأننا لم نحصل في سفرنا على العناية المرجوّة ولم ننعم بأيٍّ من الألطاف الخاصّة بالمدينة. ففي المرات السابقة، كانت أبواب المدينة المنوّرة تشَرَّع أمامنا، أما في تلك الرحلة، فشعرنا بأنّ كل الأبواب كانت مغلقة بوجهنا. وقبل المغادرة، إقتربنا من قبر السيّدة أم البنين عليها السلام للوداع، فخاطبناها بالقول: يا مولاتنا، لطالما كنّا نأتي للحجّ ونحصل على جوابٍ منكِ. ولكنكِ في هذه المرة، لم تتفضلي علينا بأيّة مرحمة أو مكرمة وها نحن نغادر المدينة بقلوب مقهورة

ومحترقة. وكنّا على وشك الخروج من المدينة، حامِلين مشاعرَ الحزن والقلق، حين رأيتُ، في تلك اللحظات، سيّدة واقفةً في مكان لا يُسمح للنساء بتاتاً بالدخول إليه، إذ يُمنع دخول النساء إلى مقبرة البقيع. وكانت تلك السيّدة ترتدي عباءة عربيّة، فنادتني قائلة: «سيّد أحمد، أنا جِبْتِلَكْ تربة من لحسين» وأعطتْني سجدةَ صلاةٍ مكتوباً على الطرف الأعلى منها «الله» وعلى الجانب الأيمن منها «محمّد» كما كان اسم «عليّ» مكتوباً عليها. أمسكتُ التربةَ وقبّلتُها، فخرج كل غمّ العالم من قلبي وانفتح الفضاء من حولي. فرِحْتُ لحصولي على تربة من الحسين عليه السلام، فبماذا قد يرغب المرء أكثر من ذلك! وتقدّمت بضع خطوات في اتجاهٍ مغاير ثم رجعتُ لألتمس الدعاء من تلك السيّدة العربية، غير أنّي لم أعثر على أحد.

زيارة أمّ البنين عليها السلام

تحظى السيّدة أم البنين عليها السلام بمقام عالٍ ومنزلة رفيعة عند الله. وبالعودة إلى دعاء الزيارة الذي ذكرناه سابقاً، فإنه يتضمّن عبارات عجيبة لا بدّ أن تكون صادرة عن إمام معصوم أو بإذنٍ منه، إذ لا يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام من أحدٍ آخر. وهذا نصّ الزيارة: «السلام عليك يا زوجة وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام عليك يا عزيزة الزهراء، السلام عليك يا أمّ البدور السواطع فاطمة بنت حزام الكلابية، السلام عليك يا مولاتي يا أمّ البنين، السلام على من اختارها الله زوجةً لأمير المؤمنين عليه السلام فسمّاها وفيّةَ القلب

واليقين، وقال لها بارك الله فيك يا أمّ البنين، السلام على من اختارها الله لرعاية الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم عليهم السلام، السلام على من وفّت بتربية أولادها لنصرة الحسين عليه السلام، السلام على الوفيّة لمحبّة الحسين عليه السلام، السلام عليك وعلى بعلك أمير المؤمنين وعلى ولدك قمر بني هاشم عليهم السلام، عين الزهراء أبي الفضل العباس عليه السلام الذي فدى العين واليدين دون الحسين عليه السلام، السلام عليك وعلى ولدك عبدالله الذي فدى نحره دون الحسين عليه السلام وكان شجاعاً بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، السلام عليك وعلى ولدك جعفر بن عليّ عليه السلام شجاع بدر وحنين، السلام عليك وعلى ولدك عون الذي أعان الحسين عليه السلام وقُتِل قبله فبكاه الحسين عليه السلام، السلام عليك يا أمّ البنين، بورك من دعاك وأنت لم تخيّبي ظنّ الطالبين (ومن المعلوم أنّ المختار بن أبي عبيد الثقفي قد استمدّ العون من أمّ البنين في ثورته، فعندما طلب المساعدة منها لم تردّه وأعانته)، السلام عليك يا مدفونة عند جسد الحسن عليه السلام بجانب أئمة البقيع عليهم السلام، السلام عليك أيتها المحزونة على الحسين عليه السلام، ولم تحزن على مقطوع اليدين أبي الفضل العباس عليه السلام الذي فدى نحره والعين، السلام على من لُقّبت بأم البنين بوداع الحسين (الإمام الحسين هو من أعطاها لقب أم البنين)، وظلّت حائرةً عند مسير ركب الحسين عليه السلام، السلام على من بكته ولم تبكِ البنين، ورعت يتامى أبي الفضل العباس عليه السلام ونظرت يتامى الحسين عليه السلام، السلام على من تورّمت أقدامها من السؤال على الحسين عليه السلام، السلام على من توجّهت إلى دار

زينب عليها السلام عندما رجعت من المسير فشاركتها مصابها بالحسين عليه السلام، السلام على من فقدت أربع بنين ولم تسأل، وتقول أين الحسين عليه السلام الذي كان يقول لها بارك الله بجنانك يا أم البنين. (يعني أيّ قلبٍ هذا هو الذي وضعه الله في صدرك يا أم البنين!). السلام على من شهقت وأغمي عليها وفقدت بصرها لذبح الحسين عليه السلام، السلام على من رأت الدم يفور ويخرج من قارورة الحسين عليه السلام، السلام على من أوصت بنيها بحفظ زينب عليها السلام وقالت أين ولدي الحسين وفدَتْه بأغلى بنين، السلام على من لُقِبت بلقب فاطمة الزهراء في بيت أمير المؤمنين (إنها الموهبة الأسمى، فبعد فاطمة الزهراء عليها السلام، نادى أمير المؤمنين عليه السلام أم البنين بالزهراء)، السلام على من قال الإمام زين العابدين عليه السلام لها: «عظّم الله أجرك يا أم البنين»، السلام على من مدحها الإمام الصادق عليه السلام وقال: «فدَت أربعاً ولم تبالِ كي تحرص على الحسين»، السلام على من قال فيها الإمام الرضا عليه السلام في مصابها: «عظّم الله أجرك يا أم البنين»، وشهِد بحقِّها التسعة المعصومون عليهم السلام السلام عليك يا من فدَت الزهراء بذبح الأربعة دون الحسين، السلام على من قال بحقها صاحب الزمان عجل الله فرجه: «أطلبوا فيعطيكم الله ما تطلبون بإذنه تعالى وبجاه أم البنين عليها الصلاة والسلام»، السلام عليك يا أم البنين وأمّ السادة الطيبين الطاهرين (أمّ جميع الأئمة) من نسل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، السلام عليك وعلى أمّك وأبيك ورحمة الله وبركاته».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1]

الحقيقة المستورة

تُصادف هذه الليالي ذكرى ميلادِ النّور المطلق والوجود التامّ للكون، باعتبارها أمّ الكون والوجود، الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام. وفي هذه المناسبة، نستذكر السورة المباركة التي نزلَت في شأنها عليها السلام بالارتباط مع حديث الكساء النوراني. ولا يُعدّ حديث الكساء من الأحاديث التي يمكن لعوامّ الناس أن ينالوا النتيجة منها. فكما قلنا سابقاً، يُعتبر الشمّ وسيلةً لإدراك حقيقة هذا الحديث. وتلك الحقيقة مستورة ومخفية، بحيث لا يمكن إدراكها ولا وصفها ولا الاستفادة منها إلّا من قِبَل الأشخاص

---

(١) سورة الكوثر.

الذين يمتلكون حاسة الشمّ المعنوي والباطني هذه. وقد أُعطي الحديث اسم الكساء، للدلالة على وجود ستارٍ مسدولٍ على حقيقةٍ ما. فظهور تلك الحالة والحركة من قبل العقل الكلي، النبي الخاتم ﷺ، والوصيّ المكرّم المولى أمير المؤمنين عليه السلام والوجود المقدّس لكلٍّ من الصدّيقة الطاهرة والإمامَين الحسن والحسين عليهما السلام، بالإضافة إلى جبرائيل، تحت إشراف الله الباري تبارك وتعالى، يوحي بأنّ الحقيقة الصحيحة من وراء هذا المشهد هي ليست تلك التي نتلقّاها باعتبار أنها مجرد اجتماعٍ اِلتَأَمَ أفرادُه تحت غطاء. بل يدلّ كلّ ذلك على وجودِ حقيقةٍ مستورة ومخفية وغير مُعلنة، فالكساء هو عبارة عن ستار. وقد سمّي بـ«حديث الكساء» لانطوائه على حقيقة مستقرّة تحته لم يطّلع عليها أحد.

ليلة القدر

وكذلك الحال، يُشار إلى وجود الصدّيقة الطاهرة عليها السلام في القرآن الكريم بـ«ليلة القدر»[1]، للدلالة على حقائق مستورة لا يمكن لأحد أن يراها، لأنّ كلمة «ليل» تأتي في مقابل كلمة «نهار»، أما كلمة «القدر» فتعني تقدير الأشياء كلها. وهذا التقدير

(١) في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار، ج٤٢ ص١٠٥: عن تفسير فرات الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

هو تقديرٌ إلهي، يقدّر الله تبارك وتعالى بموجبه شؤون كل الموجودات وليس الإنسان فحسب. وأما بالنسبة إلى هذا الإنسان، فيشمل التقدير الإلهي كلّ شؤونه من رزقه وعمره إلى هدايته وعلمه[1]، وذلك بحسب قابليته واستعداده. غير أنّ هذه المقدّرات مخفيّة، ويُستدلّ على ذلك من كلمة «ليلة». وكذلك هو الحال بالنسبة للحديث موضوع بحثنا، حيث تستتر حقائقه تحت الكساء.

ستر الحقائق يصون قدرها

إنّ الغذاء الذي يبقى من دون ستر أو غطاء تطاله ألفُ آفة. وكما أنّ الغذاء المستور يصبح بالقانون الظاهري والطبيعي ممتنعاً من الآفات والميكروبات المختلفة، فكذلك الحال مع الحقائق التي يتمّ سترها بهدف حفظها من كلّ الآفات التي يمكن أن تدخل عليها. ولهذه الغاية، أُخفيت الحقائق التي ينطوي عليها حديث الكساء. فأنْ يصبح الشّيء في متناول العموم هو بحدّ ذاته آفة، إذ ليس بمقدور الجميع أن يعرف قدره. وفي المقابل، لو أخفيتَ حفنة من التراب في أحد الصناديق، تجد أنّ الناس يولونها أهمية

(١) قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكان فيما قدّر ولايتك وولاية الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة». معاني الأخبار ص٣١٥. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «التقدير في ليلة القدر تسعة عشر، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين»، تفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٢٧.

واعتباراً كبيرين، وذلك لمجرّد استتارها عن أعينهم. وهناك مقولة في هذا الصدد مفادها: «أستُر ذهابك وذهبك ومذهبك»، فهذه أمور ينبغي إخفاؤها عن أعين الخلق. وخلاصة القول إن حديث الكساء يتضمّن حقيقة مستورة وسرّاً غامضاً.

هذا ويؤكّد الشرع المقدّس على حجاب المرأة تأكيداً شديداً، وذلك للإبقاء على مرغوبيّة ومطلوبيّة المرأة لدى الجنس الآخر. فكلما زاد الاستتار، زاد التوجّه والإلتفات إلى المستور، بعكس ما هو الحال مع الأمور المكشوفة، وذلك وفقاً للفطرة الإنسانية. وبالتالي، عندما يُسدَل ستار الحياء والعصمة، يزداد سعي الإنسان ليكتشف أيّ تحفة وهدية هي تلك المخفيّة وراء ذلك الستار. ويصحّ هذا الواقع حتى مع المَحرم، إذ حين تتخلى المرأة عن حجابها من دون أية قاعدة أو ضابطة ويُكشف النقاب عن كل المخفيّات، تنتفي تلك المرغوبية.

سبُل الوصول إلى المستور

إذاً، يعلّم حديثُ الكساء الإنسانَ السرّية ويشدّه إلى عالمٍ من الكتمان والخفاء. ومن أجل الوصول إلى كل الحقائق المستورة ومن بينها حقيقة هذا الحديث، جرى تحديد عدة سبل في عالم الوجود. وقد سبق لنا أن تحدّثنا عن أحدها بقدَرٍ معيّن وهو الرؤية. فإذا أراد الإنسان أن يتعرّف على الحقيقة، عليه أن يرى آثار وجود تلك الحقيقة بواسطة العين. فحين يُعمِل الناظر بصرَه، الذي يُعدّ من الحواسّ الظاهرية، ويتمكّن من رؤية منظوره، يتعرّف من خلاله على

الحقيقة الكامنة داخله. أما السّبيل الآخر للاتصال بالحقيقة، فهو السماع، حيث استمع الأنبياء إلى حديث جبرائيل وفطنوا للحقائق عن طريقه. كما استطاعوا التعرف على الكثير من الحقائق من خلال رؤية بعض ظواهر العالم في الآفاق والأنفس. وبالتالي، فقد استعان الأنبياء بطريقَي الرؤية والسمع لكشف الحقائق.

ووفقاً لإحدى الروايات المعتبرة، فإنّه حين نزل جبرائيل عليه السلام بسورة «المُلك» على رسول الله صلى الله عليه وآله، اتّخذ صورة «دحية الكلبي»[1] الذي كان شاباً شديد الجمال وحَسَن الهيكل يُشار إليه بالبنان في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله. أما نحن، فنتخيّل أنّ جبرائيل كان ينزل على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بصورة عجوز قبيح. وحين نزل

---

(١) عن النبي صلى الله عليه وآله: كان جبرائيل يأتيني على صورة دحية الكلبي، الطبقات الكبرى، ج٤ ص ١٨٤. وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: **إن أبا ذر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه جبرائيل في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآهما انصرف عنهما ولم يقطع كلامهما**، فقال جبرائيل: يا محمد، هذا أبو ذر قد مرّ بنا ولم يسلّم علينا، أما لو سلم لرددنا عليه، يا محمد إن له دعاء يدعو به معروفاً عند أهل السماء فاسأله عنه إذا عرجت إلى السماء فلما ارتفع جبرائيل عليه السلام جاء أبو ذر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما منعك يا أبا ذر أن تكون سلّمت علينا حين مررت بنا، فقال: ظننت يا رسول الله أن الذي معك دحية الكلبي قد استخليته لبعض شأنك، فقال: ذاك جبرائيل عليه السلام وقد قال: أما لو سلّم علينا لرددنا عليه، فلما علم أبو ذر أنه كان جبرائيل عليه السلام دخله من الندامة حيث لم يسلّم عليه ما شاء الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذا الدعاء الذي تدعو به؟ فقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أنّ لك دعاء تدعو به معروفاً في السماء فقال: نعم يا رسول الله، أقول: اللهم إني أسألك الأمن والإيمان، والتصديق بنبيك، والعافية من جميع البلاء، والشكر على العافية، والغنى عن شرار الناس. أصول الكافي ج٢ ص١٣٤، بحار الأنوار، ج٢٢ ص٤٠٠.

جبرائيل عليه السلام على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بصورة الشاب الجميل، عاين الرسول ذلك الجمال بنظره، فاستخدم سبيل الرؤية. وهنا اجتمع سبيلان من سبل إدراك الحقيقة معاً، ففي الوقت الذي تعرّفت فيه العين على الجمال، استمعت الأذن إلى الألفاظ أيضاً.

السبيل الأمضى لإدراك الحقائق

وهناك سبيل ثالث للوصول إلى الحقائق. وعبر هذا السبيل بالذات، يمكن الارتباط بالحقيقة التي ينطوي عليها حديث الكساء. وأمّا هذا السبيل، فهو الشمّ.

ما هو حديث الكساء؟ لقد قلنا سابقاً إنّ هذا الحديث هو سرّ مستتر ورمز غير مكشوف وحقيقة مخفية يغطيها الكساء. وقد يسأل سائلٌ ما السبب وراء ذلك؟ والجواب هو أنّه كلما أُخفي الشيء أكثر، كلما لفتَ الانتباه أكثر، كمسألة حجاب النساء التي عرضناها سابقاً. ولكن، ما هي المسألة التي أراد رسول الله والسيدة فاطمة وأمير المؤمنين عليهم السلام تبيانَها عبر هذه الحادثة؟ ما أرادوا الإشارة إليه هو أن السبيل الأمضى للوصول إلى الحقيقة ليس العين ولا الأذن ولا اللمس حتى، بل هو سبيل الشمّ. ولذلك، كانت الوظيفة الأبرز في حديث الكساء لحاسّة الشمّ.

دور اللمس في الوصول إلى الحقيقة

ويعدّ اللمس أحدَ الطرق التي يتعرّف الإنسان من خلالها على الحقائق. كما تجدر الإشارة إلى أنّ كل ما ذكرناه، من سمع وشمّ

ونظر ولمس، يرجع إلى الفطرة الحيّة الطاهرة والنقية. وعندما يتشرف الإنسان بزيارة الحرم المطهّر للإمام الرضا عليه السلام، تمتدّ يداه إلى قفص الضريح لكي تلامساه. فمن خلال ملامسة الماديّات، كالأحجار والحديد، يُدرك الإنسان بعضَ الحقائق ويرتبط بها. وتنطوي نفس حركة احتضان الحديد المحيط بالضريح المطهر للإمام على حقيقة معيّنة، إذ مجرد الاحتضان لا يمنح الإنسان شيئاً. وحين يشعر الإنسان بأن ملامسته للضريح والجدران غيرُ كافية، يلجأ إلى تقبيل الأبواب والعتبات وما إلى ذلك ـ الأمر الذي يشتمل على حقيقةٍ أيضاً ـ وهو إنما يفعل ذلك بمقتضى الفطرة. وهناك الكثير من الروايات التي تحثّ المؤمنين على مصافحة بعضهم البعض[1]، وذلك لأنّ ثمّة حقيقةٍ مستترة خلف ستار المصافحة والملامسة[2]. وفي هذا الإطار، ورد أنّ على الإنسان الذي يبادر إلى مساعدة أحد المحتاجين بإعطائه المال، أن يحرص على جعل يده تحت يد ذلك المُحتاج، لا فوقها. ولكن لِمَ ذلك؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: لأن ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من تمام المحبة المصافحة. جامع الأحاديث للقمي ص١٢٢. وعنه صلى الله عليه وآله: تصافحوا وتهادوا فإنّ المصافحة تزيد في المودة والهدية تُذهب الغلّ. دعائم الإسلام: ٢ج، ص٣٢٦، ح١٢٣٢.

(٢) عن الباقر والصادق عليهما السلام: كان النبي صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقبّل عرضَ وجه فاطمة ويضع وجهه بين ثديي فاطمة ويدعو لها. وفي رواية: حتى يقبّل عرض وجنة فاطمة أو بين ثدييها. بحار الأنوار، ج٤٣ ص٤٢.

أَيْدِيهِمْ﴾[١]. فلستَ أنت من تساعد ذلك المحتاج، بل هو من يساعدك وينجيك من جهنم.

ويروي رجلٌ عاصَرَ الإمام الصادق عليه السلام أنه في أحد الأيام، صادفَهُ راكباً على جواده. فمدّ الإمام يده ليتصافحا، وقد شدّ على يد ذلك الرجل إلى حدّ أنه قال: «حتى وجدت الأذى في أصابعي»[٢]. ولكنّ الإمام أراد أن يبيّن له حقيقة معيّنة من وراء ذلك اللمس، وهي أن هذه اليدّ التي تشدّ على يدك هي «يد الله»، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فليس لله يد جسميّة[٣].

---

(١) سورة الفتح، آية ١٠. من كلام للإمام الصادق عليه السلام: **يا مفضل، يسند القائم عليه السلام ظهره إلى الحرم ويمد يده فتُرى بيضاء بغير سوء ويقول: هذه يد الله ـ ويمين الله ـ وعن الله وبأمر الله** ثم يتلو هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ (سورة الفتح، آية ١٠) فيكون أول من يقبل يده جبرائيل عليه السلام ثم يبايعه ثم تبايعه الملائكة ونجباء الجن ثم النقباء. بحار الأنوار ج٥٣ ص٨.

(٢) عن أبي عبيدة الحذّاء بطريق آخر، قال: زاملت أبا جعفر عليه السلام في شقّ محمل من المدينة إلى مكّة، فنزل في بعض الطريق، فلمّا قضى حاجته وعاد قال: هات يدك يا أبا عبيدة. فناولته يدي فغمزها حتّى وجدت الأذى في أصابعي، ثمّ قال: يا أبا عبيدة! ما من مسلم لقي أخاه المسلم فصافحه ـ وشبك أصابعه ـ إلاّ تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق من الشجر في اليوم الشاتي. الكافي ج٢ ص١٤٤ ح ٥، وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٢٤ ح٣، بحار الأنوار ج٧٦ ص٢٥ ح١٥.

(٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (سورة الحديد، آية ٤) وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (سورة المجادلة، آية ٧) فإنّما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركّبها فيهم على جميع خلقه وإنّ فعلهم فعله. الاحتجاج ج١ ص٥٨٩ ح١٣٧، تفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٥٨، تفسير الصافي ج٤ ص٤٠١. وعن=

وفطرة الإنسان تدفعه إلى لمس الأشياء التي يحبّها عندما تظهر له. فعن طريق اللمس، يتعرّف الإنسان إلى حقيقة المحبّة والعشق، إذ لا يتحقق ارتباطه بالعشق إلّا عبر الحواس الظاهرية أولاً. وقد ورد في الأحاديث أنّه لدى تصافح مؤمنَيْن اثنين، تتساقط ذنوبهما كما يتساقط ورق الشجر في فصل الخريف[1]. وهذا ما يدلّ على أنّ هناك حقيقة معيّنة من وراء تلك الملامسة، وإلا فلماذا تتساقط الذنوب بعد المصافحة؟ وما الذي تحقق في هاتين اليدين المتصافحتين؟ إنّ ما يتحقق عند المصافحة هو المحبّة، والمحبّة تُحبط الذنوب. ولذلك، فقد مدّ

=رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ يَقولُ: «... ما يزال عبدي يتقرَّب إلَيّ بالنَّوافل حتى أحبه، فأكون أنا سمعه الَذي يسمع به، وبصره الَذي يُبصِر به، ولِسانه الَذي ينطِق به، وقلبه الَذي يعقل به، فإذا دعا أجبته، وإذا سألني أعطيتُه». كنز العمّال ج١ ص٢٢٩.

(١) ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب، عن السميدع، عن مالك بن أعين الجهني، عن أبي جعفر ﷺ قال: إن المؤمنَيْن إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عز وجل يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدّهما حبّاً لصاحبه، فإذا أقبل الله عز وجل بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. وفي رواية أخرى: ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب، عن السميدع، عن مالك بن أعين الجهني، عن أبي جعفر ﷺ قال: إن المؤمنَين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عز وجل يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه، فإذا أقبل الله عزّ وجل بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر. أصول الكافي، ج٢، ص١٨٠، ١٨١. وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله ﷺ في حديث أنه قال له: لا تملّ من زيارة إخوانك، فإن المؤمن إذا لقي أخاه فقال له: مرحباً كتب له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهامهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما، بوجهه فكان على أشدّهما حباً لصاحبه أشد إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتهما الرحمة. الوسائل، ج٨ ص٥٦٤.

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام يده للرجل الذي أتى ليقتله ودعاه إلى مصافحته، فإذا بالعداوة[١] تنقلب إلى محبة، وكانت النتيجة أن امتنع ذلك الرجل عن قتل مولاه. وعلى الرغم من أنّ الإمام قد أظهر لذلك الرجل أنّه صافحه نظراً للقرابة التي تجمع بينهما، إذ كان كلاهما من بني هاشم، غير أنّ الحقيقة من وراء تلك المصافحة كانت أمراً آخر. فعندما تتّصل يد الله بيد إنسانٍ ما، يصبح مشمولاً بالرحمة والصلاح. ومن هنا، كانت نتيجة ملامسة يد الإمام ليد ذلك الرجل أنْ أنجَتْه من وِبال قتله عليه السلام.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام مفاده أنه عند تصافح رجلين من محبّي أمير المؤمنين عليه السلام، يأمر الله تبارك وتعالى المَلَكَيْن «رقيب وعتيد»، الملازمَيْن للإنسان دائماً في كلّ حركاته وسكَناته، بالرحيل عنهما. ولدى سؤاله عن الشاهد على أعمالهما من بعد ذلك، يجيب الإمام عليه السلام: يكون الله هو الشاهد عليهما في تلك اللحظات[٢].

---

(١) قال الامام علي عليه السلام: صافح عدوَّك وإنْ كره، فإنّه ممّا أمر الله عزّ وجلّ به عباده، يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة فصلت، آية ٣٤). الخصال ج٢ ص١٦٨.

(٢) عن إسحاق بن عمار قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فنظر إليّ بوجه قاطب، فقلت: ما الذي غيّرك لي؟ قال: الذي غيرك لإخوانك، بلغني يا إسحاق أنك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة، فقلت: جعلت فداك إني خفت الشهرة، قال: أفلا خفت البلية أو ما علمت أنّ المؤمنَين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله عزّ وجل الرحمة عليهما فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حباً لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما=

وبالتالي، ثمّة سرّ في المصافحة والملامسة[١] من شأنه أن يوصل إلى الحقيقة.

ولا بدّ من الالتفات إلى أنه مثلما ينبغي على الإنسان عدم مصافحة غير المحارم، ينبغي عليه أيضاً عدم مصافحة من لا يتفق معه في طريق الولاية والارتباط بمحمد وآل محمد عليهم السلام[٢]، إذ تعدّ

=الرحمة، وإذا قعدا يتحادثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا لعلّ لهما سراً وقد ستر الله عليهما؟ فقلت: أليس الله عزّ وجل يقول ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة ق، آية ١٨) فقال: يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإنّ عالم السر يسمع ويرى. الوسائل، ج٨ ص٥٦٢. وعن علي عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما الرحمة فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله، ولايريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما مغفوراً لكما، فاستأنفا، فإذا أقبلا على المسألة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحّوا عنهما فإنّ لهما سراً، وقد ستر الله عليهما. قال إسحاق: فقلت: جعلت فداك فلا يكتب عليهما لفظهما وقد قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قال: فتنفس أبوعبدالله عليه السلام الصعداء ثم بكى حتى اخضلت دموعه لحيته وقال: يا إسحاق إن الله تبارك وتعالى إنما أمر الملائكة أن تعتزل من المؤمنين إذا التقيا إجلالاً لهما، وإنه وإن كانت الملائكة لا تكتب لفظهما ولا تعرف كلامهما، فإنه يعرفه ويحفظه عليهما عالم السر وأخفى. بحار الأنوار ج٧٣، ص٣٥.

(١) أبو علي الأشعري عن محمد بن عبدالجبار عن ابن فضال عن علي بن عقبة عن أبيه عن ميسر قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال: إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدنُ منه، فليمسّه، فإن الرحم إذا مُسّت سكنت. الكافي ج٢ ص٣٠٢.

(٢) عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: من جالَس لنا عائباً أو مدح لنا قالياً أو واصل لنا قاطعاً أو قطع لنا واصلاً أو والى لنا عدواً أو عادى لنا ولياً فقد كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم. أمالي الصدوق ص٣٤ و٣٥.

تلك المصافحة أشدّ سوءاً من مصافحة غير المحارم من النساء والرجال معاً.

ينبوع المحبّة

وبعيداً عن طريق اللمس، فقد برزت في حديث الكساء العبارة الآتية: «إنّي أشمّ عندك رائحة طيبة». وتجدر الإشارة إلى أنّه عندما يُخفِق الفقهاء المجتهدون في إيجاد الأدلة الكافية لاستنباط الأحكام، يلجأون إلى الإدلاء بآرائهم[١]، فيُعدّ هذا الرأي حكماً شرعياً. وهذا ما يقال له «الشمّ الفقهي».

ولنتطرّق قليلاً إلى بحث المحبّة. فلو لم يكن هذا الينبوع موجوداً في هذا العالم، لانتفَت الفائدة من المجيء إلى هذه الدنيا ولَفقدَت الحياة قيمتها. لقد ابتُلي يعقوب النبيّ بفراق ولده يوسف الصديق عليه السلام، ولم يستطع اشتمام ريحَ يوسف على الرغم من أنَّ البئر الذي رماه فيه إخوته لم يكن بعيدَ المسافة، وبالتالي لم يتمكّن من معرفة مكانه. فبكى حتى ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾[٢] كما ذكر القرآن الكريم. ولكن، بعد مرور عدة سنوات على فراقه،

---

(١) كما لو وقع تزاحم بين الوجوب والحرمة، كفاية الأصول للشيخ الآخوند الخراساني ص ٤٣٩ و٣٥٧، فينظر إلى الملاك الأقوى بحسب المصلحة (الأهم ملاكاً). كما أورد في باب اجتماع الأمر والنهي بضرورة تقديم الأهم ملاكاً عند التزاحم بموردين، ص١٧٧. وبمورد آخر، حين يتعرض لدوران الأمر بين المحذورين يرى بضرورة تقديم الأهم ملاكاً، ص٣٥٧ وتعيين الأهم ملاكاً هو بيد الفقيه.

(٢) سورة يوسف، آية ٨٤.

وحين أرسل يوسف قميصه مع إخوانه ليسلّموه إلى أبيهم، استطاع النبي يعقوب عليه السلام ومن مسافة بعيدة أن يشتمّ رائحة القميص ويتعرّف إليه، ما أثار تعجّبَ أقاربِه الذين ما استطاعوا اشتمام تلك الرائحة. ولكن، أتعلمون لماذا اكتسب قميص يوسف تلك الخاصية؟ لأنّ برقَ محبّةِ زُليخة قد سطَعَ على يوسف عليه السلام الذي ابتُلِيَ بالمحبّة وتغيّرت رائحة بدنه. وبإمكان العاشقين تمييز تلك الرائحة، ولأنّ يعقوب كان عاشقاً، تمكّن من معرفتها، فالقرآن يقول إنّه لما ألقي القميص عليه ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾[1]. وكذلك، يشهد القميص الذي أوصلته السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام على عشق زينب عليها السلام التي لم تستطع العيش من دون رائحة أخيها، فالعالم بأسره لم يرَ عاشقةً كزينب عليها السلام.

(١) سورة يوسف، آية ٩٦.

الذّوق وأهله

يرتبط بحثنا بمعرفة الأبعاد المعنوية لحديث الكساء الشريف وفهمها. والطريق المطروح لإدراك الحقيقة الكامنة في هذا الحديث هو طريق الشمّ، الذي يُعدّ واحداً من الحواس الظاهرية الخمس. وقد تكرّرت في حديث الكساء هذه العبارة: «إني أشمّ عندك رائحة طيبة»، فعن طريق اشتمام تلك الرائحة الطيبة، كُشف النقاب عن حقيقة معينة. وفي سياق البحث عن الحقائق، دائماً ما تؤدّي الحواس دورَ المساعِد والمعاوِن للباحث عن الحقيقة، حتى يدركها في النهاية عبر تلك الحواس. فاللمس يؤدّي هذه الوظيفة، ولكن بشرط التناسب[1]، وكذلك يفعل الشمّ. وبالتالي، يُشترط

---

(١) إن اختلاف مشاعر الإنسان دليل على اختلاف مداركه وهما دليلان على اختصاص كل إدراك بما يناسبه من المُشعِر الخاص به، لذا فلا تطلب الإبصار بحاسة السمع أو التكلم بالبصر أو التذوق بالأذن ما دمت في هذه الدنيا ولا إدراك الغيوب بالحواس الظاهرية وكذلك لا بد لك من مدرك تصديقي حتى تقبل وتصدق كلام الأنبياء والأئمة سلام الله عليهم وإلا فلا طريق لك لتصديقه.

توفر التناسبيّة لإيجاد الاتصال بالحقيقة وإدراكها. وإلى جانب ما ذكرناه آنفاً، تُعدّ حاسّة الذوق[١] إحدى الطرائق الحسّية لفهم الحقيقة، حيث يفتح الذوق أمامَ أهلِه الكثيرَ من الطرق المؤدية إلى تلك الغاية. ويتّسِم أهلُ الذوق بخاصيّات مميزة، حيث إنهم

---

(١) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: انظروا من تُرضع أولادكم، فإنّ الولد يشبّ عليه (الكافي ج٦ ص٤٤ ح١). عن عليّ عليه السلام كان يقول: تخيّروا للرضاع كما تخيرون للنكاح، فإنّ الرضاع يغيّر الطباع (وسائل الشيعة، ج١٥ ص١٨٨). قال أمير المؤمنين عليه السلام: توقّوا على أولادكم لبنَ البغيّ من النساء والمجنونة، فإنّ اللبن يعدي (بحار الأنوار، ج١٠٤ ص٩٦). عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا تسترضعوا الحمقاء فإنّ اللبن يغلب الطباع (وسائل الشيعة، ج١٥ ص١٨٨). عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن امرأة وَلَدت من الزنى، هل يصلح أن يسترضع بلبنها؟ قال: لا يصلح ولا ابنتها التي وُلِدت من الزنا (وسائل الشيعة، ج١٥ ص١٨٧). عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تسترضع الصبيَّ المجوسية وتسترضع له اليهودية والنصرانية ولا يشربن الخمر، يمنعن من ذلك (الكافي، ص٦ ج٤٤ ح١٤). وعن عليّ عليه السلام أنه قال: رضاع اليهودية والنصرانية أحب إليّ من رضاع الناصبية، فاحذروا الناصبية أن تظائروهم ولا تناكحوهم ولا توادّوهم (مستدرك الوسائل، ج١٦٢ ص١٥ ح١٧٨٦٣). عن الحلبي، قال: سألته عن رجل دفع ولده إلى ظئر يهودية أو نصرانية أو مجوسية ترضعه في بيتها؟ قال (أبو جعفر عليه السلام): ترضعه لك اليهودية والنصرانية في بيتك وتمنعها من شرب الخمر وما لا يحل مثل لحم الخنزير ولا يذهبن بولدك إلى بيوتهن، والزانية لا ترضع ولدك فإنه لا يحلّ لك، والمجوسية لا ترضع لك ولدك إلا أن تضطر إليها (الوسائل، ج١٥ ص١٨٦ ح٦). عن محمد بن مروان قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: إسترضع لولدك بلبن الحسان وإياك والقباح فإن اللبن قد يعدي (كافي، ج٦ ص٤٤ ح١٢). فبالرضاع، إذاً، ينتقل الحمق والذكاء والحُسن والقبح والبغاء والحياء والجنون والعقل والنصب والولاء وصفات اليهود والنصارى والمجوس حتى أكل الحرام وشربه كالخمر ولحم الخنزير.

يُعمِلون حاسّة الذوق لديهم، عن طريق الطعام والشراب، فيجدون سبيلهم نحو الحقيقة.

وللإشارة، ثمّة صلة تربط بين كلمتَيْ «مذهب» و«مشرب». فحين يسلك الإنسان طريقاً معيناً ويختار لنفسه مذهباً محدداً يُقال إنه وجد «مشربه»[١]. فكلمة «مشربه» مرادفة لكلمة «مذهبه»، لأنّ كليهما ناتجٌ عن الذوق. فإنْ كان ذلك المشرب حلواً، يعلم الذائق بحلاوة مذاقه، وإنْ كان مالحاً، يعلم بملوحة مذاقه، وكذا إذا كان مرّاً. وهنا، وعن طريق حاسّة الذوق، يمكن تشخيص مذاق المشارب كافّة. وكذلك هو الحال مع المأكل، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[٢] وشرابه. إشتملت الآية الكريمة على كلمة «الإنسان»، وبالتالي، يتعيّن على كل إنسان النظر إلى طعامه وشرابه. ويختلف معنى النظر الوارد هنا عن معنى النظر الاعتيادي، لأنّ القادر على تشخيص الحقائق هو ذلك المنتمي إلى أهل النظر والتمييز، لا مَن ينظر إلى الأشياء بعينيه فقط. وهكذا، ينبغي على الإنسان أن يسعى ليكون من أهل النظر فعلاً.

الرّبط بين النظر والذوق

وفي سبيل إيصال حاسّة الذوق لديهم إلى درجة الكمال، ينظر أهل الذوق إلى طعامهم وشرابهم نظرةً تشخيصية لا مجرّد نظرة

(١) ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، سورة البقرة، آية ٦٠.
(٢) سورة عبس، آية ٢٤.

بالعين. ولذلك، يوصَى الإنسان دائماً بالحرص على تناول الطعام والشراب الحلال بغية تأمين ذلك النوع من النظر. ومن هنا، فإنّ أهل النظر هم أنفسهم أهل الذوق بمكان، حيث يؤول مآل أهل النظر إلى الذوق. والذوق شبيه بالشّم، وبالتالي، يتمتع أهل الذوق بالقدرة على تمييز الروائح الطيبة، «إنّي أشمّ عندك رائحة طيبة». ويأتي القرآن على ذكر ساقي الشراب في إحدى آياته: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1]. ومن أجل تشخيص طبيعة الشراب المذكور في هذه الآية، يتعيّن على الإنسان أن يكون من أهل النظر، فأيّ شراب هو ذلك الذي يقدّمه الربّ؟ ويختلف هذا الساقي عن باقي سقاة العالم الذين لا يفقهون ولا يدركون معنى السقاية ومفهومها تماماً. وذلك لأنهم يَشربون ويُشربون، سواء شربوا قبل سقاية الآخرين أو حتى أثناء ذلك، بحسب ما يقول أهل الذوق.

وتعتبر السقاية من المفاهيم التي لا يمكن التعدي على معناها الذي حدّده أهلُ العلم. ولكن أين هم هؤلاء؟ نظن بأننا من أهل العلم ولكنّنا نخطئ في تشخيصنا. فأين هم أهل العلم وأهل النظر؟ «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[2]. وبالتالي، فإنّ

---

(١) سورة الإنسان، آية ٢١.

(٢) عنه ﷺ: العِلمُ نورٌ وضياءٌ يَقذِفُهُ اللهُ في قُلوبِ أولِيائِهِ، وينطقَ بِهِ عَلى لِسانِهِم. قرّة العيون للفيض الكاشاني، ص ٤٣٨. وعن الإمام الصادق ﷺ: لَيسَ العِلمُ بِكَثرَةِ التَّعَلُّم، إنَّما هُوَ نورٌ يَقَعُ في قَلبِ مَن يُريدُ اللهُ أن يَهدِيَهُ، فَإذا أرَدتَ العِلمَ فَاطلُب أوَّلًا في نَفسِكَ حَقيقَةَ العُبودِيَّةِ، واطلُبِ العِلمَ بِاستِعمالِهِ واستَفهِمِ اللهَ يُفهِمكَ. منية=

أهل العلم هم أهل النور، وهذا النور هو المشكاة الفاطمية، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

من هم أهل العلم؟

إذاً، أهل العلم هم أهل النور، وهم، بالتالي، الفاطميون. فالمرتبط باطنياً بالصديقة الطاهرة عليها السلام والحاظي على نظرة رحيمة من تلك السيدة، هو من أهل العلم، حتى ولو لم يكن قد ارتاد الصروح العلمية من قبل. وبالتالي، حين ينال الإنسان تلك النظرة من الصديقة الطاهرة عليها السلام، يصبح في عداد أهل العلم والنظر والنور والذوق والإيمان، بل ويصبح من روّاد الإيمان ومن الطلائع في يوم القيامة، حيث يسير خلفه مَن يُعرَف اليوم على أنه من أهل العلم، هذا إنْ حصل على الإذن منه بذلك. ففي ميدان

=المريد، ص ١٤٩ وص١٦٧ وفيه «يقذفه الله تعالى» بدل «يقع» وليس فيه ذيل «فإذا...»، ومشكاة الأنوار ص٣٢٦ وفيه «يبديه» بدل «بهديه»، البحار ج١ ص٢٢٥ ح١٧ وفيهما «ليس العلم بالتعلّم...»؛ الدرّ المنثور ج٧ ص٢٠ وفيه «عن مالك بن أنس قال: إنّ العِلمَ لَيسَ بِكَثرَةِ الرِّوايَةِ، إنّما العِلمُ نُورٌ يَقذِفُه اللهُ في القلبِ» فقط.

(١) سورة النور، آية ٣٥. بإسناده عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن عليه السلام ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ الحسين عليه السلام ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ فاطمة عليها السلام كوكب درّي بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام، ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾، يكاد العلم ينفجر منها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: يهدي الله، للأئمة من يشاء، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾. الكافي، ج١ ص ١٩٥ ح٥.

الذوق، تختلف الموازين والاعتبارات. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ وشرابه، ويفسّر الإمام الصادق عليه السلام هذه الآية[1]، فيُبيّن بأنها لا تأمر الإنسان بالنظر إلى الأطعمة والأشربة الموضوعة على سفرته حين يرغب بتناول الطعام، إنما في هذه الآية دعوة إلى التأمّل في أمر الولاية، والتدقيق في الأحاديث، فإذا كانت مخالِفة للولاية، ينبغي تشخيصها وردّها. أما إذا كانت تلك الأحاديث متوافقة مع الولاية، فيجب سماعها وانشراح القلب لها والقبول بها[2].

إذاً، فالذوق هو أحد الطرق المؤدية إلى فهم الحقائق. وإنْ لم يسلك الإنسان هذا الطريق، لن يكون بمقدوره الوصول إلى المكان الذي يخوّله أن يقول بالفم الملآن: «عليّ سرّ الله»[3]. فلا

---

(١) عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ قلت: ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه، عمن يأخذه، تفسير البرهان، ص١١٧٣.

(٢) من الخطبة النورانية لأمير المؤمنين عليه السلام: «قال عليه السلام: يا أبا عبدالله، قلت: لبيك يا أخا رسول الله. قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يردُ من أمرنا إليه شيء إلا شرح صدره لقبوله ولم يشكّ ولم يرتب». بحار الأنوار، ج٢٦، ص١ ـ ٣.

(٣) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا المفوض إليّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سر الله في بلاده وحجته على عباده...**»، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين لرجب البرسي ص١٧٠ ـ ١٧٢، بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب ليونس رمضان ص ٤٠٨ ـ ٤١٠، لوامع النورانيه للسيد هاشم البحراني. ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام لطارق بن شهاب: «**والإمام يا طارق بشر ملكي وجسد سماوي،... صفات الله وصفوته وسره وكلمته...**»، لوامع أنوار التمجيد. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا علم الله وأنا قلب الله الواعي ولسان الله الناطق وعين الله الناظرة وأنا جنب الله وأنا يد الله**». بحار الأنوار ج٢٤ ص١٩٨ باب ٥٣ ح٢٥.

بدّ من الاستفادة من حاسّة الذوق للوصول إلى تلك النقطة. وإلى أيّ حدٍ ينبغي على الإنسان إعمال حاسّته الذوقية حتى يتمكّن من إتقان حديث «عليّ ميزان الأعمال»[١]؟

الألفاظ والأسماء

على الإنسان أن يمتنع من مناداة أحدهم بكلمة «حبيبي» إنْ كانت لا تحمل في طيّاتها هذا المعنى. ولذلك، عليه أن يتذوق طعم تلك الكلمة ولذّتها قبل التلفظ بها. وكذلك ينبغي تذوق «السلام» الذي تلقيه على الآخرين، فالسلام مرتبط بفاطمة الزهراء عليها السلام، ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٢]. وعند التلفظ بأسماء الأئمة، كعليّ والحسين عليهما السلام، ينبغي إرفاقها بكلمة «روحي»، ذلك لأن اسم عليّ والحسين، وباقي الأئمة، هو روح الكون ومقوّمه. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأسماء وحدها هي التى تشكّل روح الكون وتلعب دورَ المُخرِج في بطن مشيئة الوجود، وليس هم أنفسهم، حيث لا يعرف حقيقتهم إلّا الله تعالى[٣]. فقد خاطب أمير المؤمنين عليه السلام سلمان وأبا ذر قائلاً: «يا سلمان ويا جندب،

---

(١) في الزيارة الرابعة لأمير المؤمنين عن الإمام الباقر سلام الله عليهما: «السلام على يعسوب الإيمان، وميزان الأعمال، وسيف ذي الجلال»، مستدرك الوسائل: ج٢، ص ١٩٧.

(٢) سورة القدر، آية ٥.

(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا عليّ ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا»، مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، ص١٢٥.

ظاهري ولايتي وباطني غيب لا يُدرك»[١]. فالولاية، إذاً، هي ظاهر أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢]، ومع ذلك، لم تتمكن الجبال بقوتها ولا السماوات بقدرتها وملائكتها من حمل تلك الولاية[٣]. ويظهر من الآية

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ظاهري ولاية ووصاية، وباطني غيب لا يدرك»، مشارق أنوار اليقين، ص٧٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٧٢.

(٣) معاني الأخبار بإسناده إلى المفضل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم **فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء حُججي على خلقي لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري فمن ادّعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ومن أقرّ بولايتهم ولم يدّعِ منزلتهم مني جعلته معهم في روضات جناتي فولايتهم أمانة عند خلقي فأيكم يحملها وبأثقالها ويدعيها لنفسه دون خيرتي فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلها من عظمة ربها** فلما أسكن الله عز وجل آدم وزوجته الجنة قال لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٣) فنظرا إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنة فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جل جلاله: إرفعا رؤوسكما إلى ساق العرش فرفعا رأسيهما فوجدا اسم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم صلوات الله عليهم مكتوبة من ساق العرش من نور الجبار جلّ جلاله فقالا: يا ربنا ما أكرم هذه المنزلة عليك! فقال لولاهم لما خلقتكما، إياكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد وتتمنيا منزلتهم عندي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ قالا: ربنا ومن الظالمون؟=

الكريمة أنّ الولاية ليست بالأمر الذي يسهُل حملُه حتى من قبل الملائكة المقربين كجبرائيل وميكائيل وإسرافيل والروح القدس. وبالتالي، فإنّ الملائكة عاجزة عن حمل ظاهر أمير المؤمنين عليه السلام، فكيف بباطنه الذي قال إنه «غيب لا يُدرك» أي لا يمكن فهمه أو الكلام عنه!

=قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حق قالا: ربنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتى نراها كما رأينا منزلتهم في جنتك فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان العذاب فأوحى الله إليهما يا آدم ويا حواء لا تنظرا إلى أنوار حججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية ٢٠ و٢١) فحملهما على تمني منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلا من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكلا شعيراً. فأصل الحنطة كلها مما لم يأكلاه وأصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكلاه فلما أكلا من الشجرة طار الحلي والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين فناداهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة الأعراف، آية ٢٢) ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة الأعراف، آية ٢٣) قال: اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش فلما أراد الله عز وجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرائيل عليه السلام فقال لهما: إنكما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجل إلى أرضه فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلا تبت علينا ورحمتنا فتاب الله عليهما **فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أممهم فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها وحملها الإنسان الذي قد عرفت فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة. وذلك قول الله عز وجل:** ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (سورة الأحزاب، آية ٧٢). معاني الأخبار ص ٣٧ و٣٨.

الولاية الذوقيّة

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ الملائكة خدّام شيعتنا»[١]، بما فيهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل والروح القدس. وأما الشيعة المقصودون بالرواية، فهم الذين يقدّمون قلوبهم إلى أهل البيت ويجعلون حواسهم معهم دائماً عليهم السلام.

كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]. تتحدث هذه الآية عن الولاية، الولاية الذوقيّة لا الكلامية. ولأنّ منكري الولاية يفتقدون حاسّة الذوق، يعجز هؤلاء عن سماع الأحاديث الولائية، فالولاية لا تأتي بالحوار. وفي تفسير هذه الآية، أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة إنه يريد أن يجعل خليفة له في الأرض يحلّ مكانه. وقد ورد في الزيارة الرجبيّة كلام قريب من هذا المعنى: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك»[٣].

---

(١) رواه الصدوق في الإكمال مسنداً عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ماخلق الله خلقا أفضل مني، ولا أكرم عليه مني. قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على الملائكة المقربين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمة من بعدك. **فإنّ الملائكة لخدامنا، وخدام محبينا، يا علي...**»، إكمال الدين ج١ ص٢٥٤ باب ٢٣ ذيل ٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) الزيارة الرجبية، مفاتيح الجنان.

لم تستطع الملائكة حمل الولاية غير أنّ هناك امرأة عجوزاً من مدينة نيشابور تمكّنت من حملها. كانت تلك المرأة تعمل بغزل النسيج لتجمع المال وتذهب إلى المدينة التي كان يعيش فيها الإمام الرضا عليه السلام وتنعم برؤيته. فكانت تعمل لفترات طويلة على آلة الغزل حتى أصيبت بالشلل. ومع ذلك، لم تسمح لتلك المشكلة بأن تشكل عائقاً أمامها، وعادت مجدداً إلى محاولاتها لكسب المال. ولكن هذه المرة، من أجل الذهاب إلى المدينة على ظهر الجمل، كما يذهب الكثير من المقعدين إلى مكة. وفي أحد الأيام، وجدت أنّ المدينة تعجّ بأهلها. فسألت جيرانها: ما الخطب؟ لماذا تعتلون السطوح؟ أجابوها: إنّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قادم إلى المدينة. فما كان منها إلّا أن ذهبت لتجلس داخل منزلها وتناجيه: سيدي، لقد قضيت سِنِيّ شبابي وأنا أغزل النسيج لكي أجمع المال وأذهب لرؤيتك. ولكنّ مالي لم يكْفِنِي. والآن، حين أصبحت عجوزاً، لم يعد لديّ حتى قدمين تساعداننني على الصعود إلى السطح. الكلّ ينظر إليك، وأنا أيضاً أريد أن أحظى ولو بنظرة واحدة إلى وجهك. وكان أهالي المدينة قد نصبوا الخيام والفساطيط لاستقبال الإمام هناك، ولكنّ حضرته قال: سأنزل في المكان الذي تربض فيه ناقتي. فخلّى لجام الناقة التي راحت تعبُر من زقاق إلى آخر. وفي هذه الأثناء، كانت العجوز تنادي، يا عليّ بن موسى الرضا، فأجابها الإمام قائلاً: لبيكِ، ما الذي تفعلينه أيتها السيّدة وما الذي تقولينه؟ فأنا من أجلكِ قدمتُ إلى المدينة.

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[١]. قالت الملائكة: لقد عرفنا سيرة هذا الإنسان بعد أن أطلعتَنا يا ربّ على الأسرار، ورأينا كم هو سفّاك للدماء وفاسد، فهل هذا هو خليفتك؟ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢]. فالملائكة لا تعرف العشق، ولكن ابن آدم يعرفه جيداً. ولذلك، فإنّ الولاية ذوقيّة.

وفي سياق السبيل الذوقي، يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «إنّ الروح القدس ـ وهو الملك الذي يفوق جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وكل الملائكة بالمرتبة ـ في الجنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة»[٣]، أي أنّ الروح القدس، ومع كل العظمة التي يمتلكها، ذاقَ من الثمار غير الناضجة لأشجار ولايتنا أهل البيت عليهم السلام، فكان من أهل الذوق واحتلّ المرتبة التي احتلها. كما ورد في المناجاة التاسعة للإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي، من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً»[٤]. وفي حديث الكساء، برزت حاسّة الشّم ـ «إني أشمّ عندك رائحة طيبة» ـ التي حلّت محلّ الذوق، إذ يمتلك كل من يعدّ

---

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٣) من كلام للإمام الحسن العسكري عليه السلام: «...الكرم فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية وصاروا لنا رداءً وصوناً وعلى الظلمة إلباً وعوناً...»، بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٤) مناجاة المحبين (المناجاة التاسعة)، للإمام زين العابدين عليه السلام.

من أهل الذوق حاسّة شمّ قوية، إنْ كان في الفقه أو في الولاية أو في المحبّة.

ولنعرّج على كربلاء قليلاً، عندما أظهر عليّ الأكبر عليه السلام عطشه الشديد، دعاه أبوه الحسين عليه السلام إلى أن يضع لسانه في فمه[1]. وبذلك، احتلّ عليّ الأكبر موقع الريادة في صفوف أهل الذوق، فلقد تذوّق ممّا تمنى كلّ الأنبياء والأولياء تذوّق ما دونه حتى.

(١) عن إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله: كان النبي صلى الله عليه وآله كثيراً ما يقبّل عرف فاطمة عليها السلام وكان يقبّلها ويمسّها لسانه. إحقاق الحق، ج١٠ ص١٨٥ ـ ١٨٦.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]

ذخائر أهل البيت عليهم السلام

يُعتبر حديث الكساء الشريف، الذي يُقرأ بهدف التوسّل، من الذخائر المنقولة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فهو رحمةٌ لرفع البلاءات عن الشيعة قاطبة. وفيه الوصفة التي تركها أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم ومحبّيهم لعلاج كلّ وجع وحلّ كل مشكلة وقضاء كل حاجة. وقد روى أبو هاشم الجعفري أنّ وزير المتوكل[2] بعث برسالة إلى الإمام الهادي عليه السلام كتب فيها أنّ

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(٢) روى السيد ابن طاووس بالإسناد عن اليسع بن حمزة القمي، قال: أخبرني عمرو بن مسعدة وزير المعتصم الخليفة أنه جاء عليّ بالمكروه الفظيع حتى تخوفته على إراقة دمي وفقر عقبي، فكتبت إلى سيدي أبي الحسن العسكري عليه السلام أشكو إليه ما حلّ=

الخليفة، آنذاك، كان يعذّبه ويغلّه بالأصفاد وشكا إليه الخطر الذي كان يتهدّد حياته، مشيراً إلى أنّه لم يتمكن من الكتابة إليه إلّا بشقّ

=بي، فكتب إلي: لا روع إليك ولا بأس، فادع الله بهذه الكلمات، يخلصك الله وشيكاً مما وقعت فيه، ويجعل لك فرجاً، فإن آل محمد يدعون بها عند إشراف البلاء وظهور الأعداء، وعند تخوّف الفقر وضيق الصدر.

قال اليسع بن حمزة: فدعوت الله بالكلمات التي كتب إلي سيدي بها في صدر النهار، فوالله ما مضى شطره حتى جاءني رسول عمرو بن مسعدة فقال لي: أجب الوزير، فنهضت ودخلت عليه، فلما بصر بي تبسّم إلي، وأمر بالحديد ففكّ عني، وبالأغلال فحلّت مني، وأمرني بخلعة من فاخر ثيابه، وأتحفني بطيب، ثم أدناني وقربني، وجعل يحدثني ويعتذر إلي، وردّ علي جميع ما كان استخرجه مني، وأحسن رفدي، وردني إلى الناحية التي كنت أتقلدها، وأضاف إليها الكورة التي تليها.

قال: وكان الدعاء: يا من تحلّ بأسمائه عقد المكاره، ويا من يفل بذكره حدّ الشدائد، ويا من يدعى بأسمائه العظام من ضيق المخرج إلى محل الفرج، ذلت لقدرتك الصعاب، وتسببت بلطفك الأسباب، وجرى بطاعتك القضاء، ومضت على ذكرك الأشياء، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون وحيك منزجرة. أنت المرجو للمهمات، وأنت المفزع للملمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت، وقد نزل بي من الأمر ما فدحني ثقله، وحلّ بي منه ما بهضني حمله، وبقدرتك أوردت علي ذلك، وبسلطانك وجهته إلي، فلا مصدر لما أوردت، ولا ميسر لما عسرت، ولا صارف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ناصر لمن خذلت إلا أنت.

صلّ على محمد وآل محمد، وافتح لي باب الفرج بطولك، واصرف عني سلطان الهم بحولك، وأنلني حسن النظر فيما شكوت، وارزقني حلاوة الصنع فيما سألتك، وهب لي من لدنك فرجاً وحياً، واجعل لي من عندك مخرجاً هنياً، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فرائضك، واستعمال سنتك، فقد ضقت بما نزل بي ذرعاً، وامتلأت بحمل ما حدث علي جزعاً، وأنت القادر على كشف ما بليت به، ودفع ما وقعت فيه، فافعل ذلك بي، وإن كنت غير مستوجبه منك، يا ذا العرش العظيم، وذا المن الكريم، فأنت قادر يا أرحم الراحمين، آمين رب العالمين.

النفس. وفي ذلك دلالة على عِظَم الأخطار التي تفرضها المناصب الدنيوية على الإنسان كلما دنا منها، بينما يكون أكثر حِفظاً ما دام بعيداً عنها. ونكمل بيان هذه القصة بعد أن نسلّط الضوء على جانبٍ من جوانب الظلم الذي كان يمارسه المتوكل العبّاسي على شيعة أهل البيت عليهم السلام.

ظلم المتوكّل

مع أنّ الظلم كان دأب جميع الخلفاء العباسيين، إلّا أنّ الخليفة المتوكل كان أكثرهم ظلماً، حيث كان يضطهد زوّار الحسين عليه السلام ويقطع الطريق عليهم ويقتلهم ويبتر أيديهم. وفي المقابل، كان الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام يحرصان على الترويج لزيارة الإمام الحسين عليه السلام. فكلما كانا يمرضان، كانا عليهما السلام يختاران أحدَ الأشخاصِ ويؤمنان له نفقة السفر ولوازمه ويأمرانه بالذهاب والدعاء لهما بالشفاء عند قبر جدهما أبي عبدالله عليه السلام[1].

---

(١) قال أبو هاشم الجعفري صاحب الإمام الهادي عليه السلام: دخلت على أبي الحسن الهادي وهو محموم عليل، فقال: يا أبا هاشم، ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعو الله لي. فخرجت من عنده، فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال الإمام عليه السلام، وسألته أن يكون هو الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكنّني أقول: إنّه أفضل من الحائر إذا كان بمنزلة مَنْ في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائي له في الحائر. فأعلمته ما قال: فقال لي: قل له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر. وإنّ لله تبارك وتعالى بقاعاً يحبّ أن يُدعى فيها، فيجيب لمَنْ دعاه، والحائر منها». بحار الأنوار ج٩٨ ص١١٤ و١١٥ ح٣٤.

وفي إحدى المرات، سأل أحدهم الإمام قائلاً: يا ابن رسول الله، أنت حجّة الله ووليّه، فلِمَ ترسل الناس ليزوروا الحسين عليه السلام؟ فأجابه الإمام عليه السلام: لقد منح الله جدّنا الحسين مقاماً لم يصل إليه أيّ منّا نحن الأئمة[1]، ومن واجبنا حفظ هذه

---

(١) إن للإمام الحسين عليه السلام خصائص عديدة لم يشاركه بها أحد من الأئمة عليهم السلام حتى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا من حسين**»، بحار الأنوار ج٤٣ ص ٢٧١. وقال الإمام الصادق عليه السلام: **كلنا سفن النجاة ولكن سفينة جدي الحسين أوسع وفي لجج البحار أسرع**. بحار الأنوار، ج ٢٦ ص ٣٢٢، حديث ١٤. وأيضاً، ورد في زيارة الناحية المقدسة التي رواها الشيخ المفيد في مزاره، والشيخ ابن المشهدي في المزار الكبير، والمجلسي في بحاره، والفيض الكاشاني في كتابه الصحيفة المهدوية: «...**السلام على من جعل الله الشفاء في تربته، السلام على من الإجابة تحت قبته، السلام على من الأئمة من ذريته...**». وقد اختُصّ الحسين عليه السلام بالجهاد دون غيره من أبناء الزهراء عليها السلام كما يُجمِع كبار المراجع على أفضلية أن يتمّ المسافر صلاته في حائره الشريف، فضلاً عن الروايات التي تؤكد على أنْ لا أصحاب كأصحابه، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام يسير بالناس، حتى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين فتقدَّم بين أيديهم حتى إذا صار بمصارع الشهداء قال: قُبض فيها مائتا نبي، ومائتا وصي، ومائتا سبط، شهداء بأتباعهم، فطاف بها على بغلته خارجاً رجليه من الركاب، وأنشأ يقول: **مناخ ركاب ومصارع شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم**. بحار الأنوار ج٩٨ ص١١٦ ح٤٢ و٤٤. وإن القائم يدفن في قبر الحسين عليه السلام إضافة إلى الروايات التي توضح بأنّ كربلاء هي أرض المحشر والأئمة خلقوا من طينتها، فعن محمد بن أحمد بن يعقوب عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن بعض أصحابه عن أحدهما عليهما السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من الطين فحرّم الطين على ولده. قال: فقلت: **ما تقول في طين قبر الحسين عليه السلام؟ فقال: يحرم على الناس أكل لحومهم ويحل لهم أكل لحومنا ولكن الشيء اليسير منه مثل الحمصة**. كامل الزيارات ص٤٧٨ الباب٩٥. كما أن أرض كربلاء أفضل من=

الحرمة. فلو لم يتصرّف رسول الله وأمير المؤمنين وبقية أئمّة أهل البيت عليهم السلام على النحو الذي تصرّفوا به مع الإمام الحسين عليه السلام، لَمَا وصلت إلينا موهبة زيارة سيّد الشهداء.

أمَرَ المتوكل بقطع يد كلّ من يتوجّه لزيارة الحسين عليه السلام، فما كان من الزوّار إلا أن مدّوا أيديهم للسيوف. وهنيئاً لمن قُطعت يده في ذلك الطريق، هنيئاً لتلك المرأة العجوز التي أظهرت شجاعة تفوّقت بها على كل رجال العالم، فبات من الواجب عليهم أن يحذوا حذوها. لقد قطعوا يد تلك المرأة العجوز في إحدى السنوات وهي في طريقها لزيارة الحسين عليه السلام ولكنها عادت لزيارته في السنة التالية. وحين اعترض جنود الخليفة طريقها، أمروها بمدّ يدها اليمنى، فمدّت اليُسرى. وعندما سألوها عن السبب، أخرجت يدها اليمنى المقطوعة من تحت ردائها وقالت: لقد قدّمت اليمنى في السنة الماضية، فاقطعوا هذه الآن.

=أرض الكعبة، فعن علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: «**اتّخذ الله تعالى كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام**». بشارة الزائرين ص٢٦. كما سئل الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام، أنه من الأفضل؟ أرض مكة أم أرض كربلاء؟ فقال عليه السلام: «إنّ أرض الكعبة قالت: مَن مثلي، وقد بني بيت الله على ظهري، ويأتيني الناس من كلّ فجّ عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها: أن كفّي وقرّي، **ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك، ولولا من تضمّنت أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقرّي واستقرّي** وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلاّ سخت بك وهويت بك في نار جهنّم. بشارة الزائرين ص٢٨.

إذاً، كان المتوكل لعنة الله عليه شديدَ العداء لأهل البيت عليهم السلام ولزوار الإمام الحسين. وفي فترة من الفترات، وصل طغيانه إلى وزيره، فزجّه في السّجن ومارس ألوان التعذيب عليه، حتى كاد يصل به الحال إلى قطع رأسه عن جسده. فكتب الوزير مستنجداً بالامام الهادي عليه السلام: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا في خطر شديد ولا أدري ما سيحلّ بأولادي من بعدي. فكان ردّ الإمام عليه السلام أن اقرأ هذا الدعاء. وما إنْ تفعل، ستخرج من أسر المتوكل وتسترجع ماء وجهك وتزداد عزةً وارتقاءً في الشأن والمنصب. ولا شك في أنّ هذا الدعاء، يعود بالفائدة على قارئه عند كل شدة وبلاء.

الإرتباط بالوليّ

وصل الدعاء إلى الوزير قبيل آذان الظهر، فبدأ بقراءته. وهذا أول الدعاء «يا من تحلّ به عقد المكاره»[1]. وتجدر الإشارة إلى أنّ الإرتباط بالوليّ المطلق هو الشرط لتحقق أثر الدعاء. فحين أغلقت كل الأبواب في وجه الوزير، لم يبق لديه أمل سوى الإرتباط بالولي. قرأ الدعاء قبيل الظهر وما إن أنهاه حتى انشرح صدره واطمأنّ قلبه ورأى بوابة الزنزانة تُفتح والحارس، الذي اعتاد ضربه في كل يوم، يحيّيه ويُظهِر له الإحترام والتبجيل ويخلّصه من قيوده. ثم بعد ذلك، حصل ما أطلعه عليه

(١) دعاء الأمن، مفاتيح الجنان. الصحيفة السجادية، الدعاء السابع.

الإمام عليه السلام، فنال مرتبة أعلى وتلقى اعتذاراً على ما لحق به من أذى.

أهل البيت عليهم السلام عندهم الدواء لكلّ داء

من أجل رفع البلايا والمشكلات والآلام، لم يوصِنا أئمتنا عليهم السلام بتناول قرص أسبرين، بل أمرونا بأن نرفع أيدينا ونلعن أعداءهم. ويُروى أنّ سلمان الفارسي أصيب بحمّى شديدة، فشكى أمره لرسول الله صلى الله عليه وآله وقال: وصل سلمان إلى آخر عمره، فهذه الحمّى ستقضي عليه. سأله رسول الله صلى الله عليه وآله: لمَ لمْ تقصد الطبيب؟ فأجاب سلمان بأنه لا يعرف واحداً. عندها، قال له الرسول صلى الله عليه وآله: أنا أعطيك عنوان طبيب أعرفه، ولكنه امرأة. فضحك سلمان، الذي قيل فيه «سلمان منّا أهل البيت». ثم تابع الرسول صلى الله عليه وآله كلامه مع سلمان وقال: إذهب عند ابنتي فاطمة، فهي طبيبة. وفعلاً، قصد سلمان الصديقة الطاهرة عليها السلام التي علمت منه بأنه مصاب بالحمّى منذ فترة من الزمن وبأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أرسله إليها. فخاطبته قائلةً: إقرأ هذا الدعاء في كل يوم: «بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نورعلى نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأمور...»[1] إلى آخر الدعاء المعروف بـ«دعاء النور». فأقسم سلمان بأنه علّم هذا الدعاء لأهل المدينة فشفي من الحمّى أكثر من مئة شخص، وكل ذلك بفضل فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) دعاء النور، مفاتيح الجنان.

وقد ترك لنا أهل البيت عليهم السلام حديث الكساء لنَنْتفِع به في زمان الغيبة وزمان البؤس والعجز. كما أننا نجد، في الأدعية، العلاجَ لكل الأمراض والمشكلات. والروايات التي تُطلعنا على العلاجات المختلفة للأمراض الظاهرية والباطنية، عن طريق الذكر والورد، ليست أقل من الروايات التي تخبرنا بأن صلاة الصبح تتألف من ركعتين، لا بل إنها تفوقها عدداً، «يا من اسمه دواء وذكره شفاء»[١]. ومن بين تلك الروايات، على سبيل المثال، رواية توصي بقراءة آية الكرسي عند الشعور بالخوف[٢].

التوسل بأهل البيت عليهم السلام يرفع البلاءات

يعدّ الشيخ البهائي من كبار علماء ورجالات الشيعة. ويعود أصله إلى جبل عامل، حيث تشيّع أجداده على يد الصحابيّ الجليل أبي ذر الغفاري. وفي جبل عامل الكثير من الشيعة والمحبّين لأمير المؤمنين عليه السلام وإليه ينتمي العديد من العلماء والشهداء الكبار، ومن بينهم الشيخ البهائي ووالده.

---

(١) دعاء كميل، مفاتيح الجنان.

(٢) رُوِيَ عن الإمام عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْبَقَرَةِ، وآيَةَ الْكُرْسِيِّ، وآيَتَيْنِ بَعْدَهَا، وثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، لَمْ يَرَ فِي نَفْسِهِ ومَالِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ، ولَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ، ولَا يَنْسَى الْقُرْآنَ»، الكافي ٢ج ص٦٢١. وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أوى إلى فراشه يقرأ آية الكرسي ويقول: بِسْمِ الله آمَنْتُ بِالله وَكَفَرْتُ بِالطَّاغوتِ، اللّهُمَّ إحْفَظْنيْ في مَنامي وَفي يَقْظَتي. مفاتيح الجنان، الفصل الثاني: في أدعية يدعى بها عند النوم وعند الانتباه منه.

ويُنقل أنه في فترة من الفترات، مرّ الشيخ البهائي بضائقة مالية، حيث كان غارقاً في الديون ولا يمتلك شيئاً في منزله. ولو كان من أهل الدنيا، لاستطاع جنْيَ المال الوفير، غير أنه كان رجلاً حرّاً ومستغنياً همُّه الوحيد الترويج لأمر محمّد وآل محمّد عليهم السلام وولايتهم. أصيب الشيخ البهائي بالغمّ من جراء تلك الأزمة، فراح يطالع الروايات والأحاديث حتى وجد فيها الحلّ لمشكلته. وعثر على دعاء يُقرأ في قنوت الصلوات عند الوقوع في الدين أو العجز أو الفقر أو الحاجة إلى المال أو التعرّض للصعوبات والمشقّات. ووجد أن من آثار ذلك الدعاء سداد الدين وتحسين المعيشة من الناحية المادية. فبدأ بقراءة الدعاء في قنوت صلواته، ولم يمضِ أسبوع واحد حتى تمكّن من سدّ دينه بالكامل وحلّ جميع مشكلاته، فلم يدرِ من أين كان يأتي المال. ويؤيّد القرآن نفسه هذه الرواية حين يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1].

ويقول أبو هاشم الجعفري بأنه تشرّف في أحد الأيام بلقاء الإمام الهادي عليه السلام، فبدأ الإمام عليه السلام يكلّمه باللغة الهندية ولكنّه لم يفهم شيئاً وقال له: سيدي، أنا لا أجيد اللغة الهندية، فلمَ تتحدث معي بها؟ كان بالقرب من الإمام عليه السلام جرّة من الحصى. ولعلّ ذلك الحصى ـ وهذا استنباط شخصي ـ كان من درّ النجف

(١) سورة الطلاق، آية ٢ و٣.

وحصاها، حيث كان الأئمة عليهم السلام يضعون بضعاً من حصى وادي السلام في الماء ويشربونه، نظراً لارتباطه بعشق ومحبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. كان الحصى الذي في الجرّة جافاً، فوضع الإمام عليه السلام واحدة منها في فمه المبارك وبدأ يمصّها ويعدّ هذا أحد طرق الإرتباط بأمير المؤمنين عليه السلام عن طريق الحسّ وعالم المادة والطبيعة ـ ثم أخرجها من فمه الشريف وأمر الرجل بأن يضعها في فمه، ليجد بعد ذلك أنه بات يعرف ثلاثاً وسبعين لغة[1].

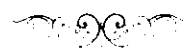

(١) ما رواه ابن شهرآشوب والقطب الراونديّ عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال: دخلتُ على أبي الحسن عليه السلام فكلّمني بالهندية فلم أحسن أن أردّ عليه وكان بين يديه ركوة ملأى حصى فتناول حصاة واحدة ووضعها في فيه ومصها ملياً ثم رمى بها إليَّ فوضعتها في فمي فوالله ما برحتُ من مكاني حتّى تكلمتُ بثلاث وسبعين لساناً أولّها الهندية. مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٥١٢، الشيخ عباس القمي، سفينة البحار، طبع النجف، ج٢ ص ٧١٨.

حديث الكساء يحلّ المشكلات

تعتبر الأدعية والأذكار المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسها حديث الكساء الشريف، من المواهب والعنايات والألطاف الخاصّة التي منحها الربّ المتعال في زمان الغيبة للشيعة والمحبّين. فعندما يشعر الشيعيّ بالغربة والوحدة والمسكنة والعجز، وتحيط به المشكلات من كل جانب، يلجأ إلى الأدعية والأذكار المُنجِية من المهمّات والملمّات، فالأدعية مفاتيح أبواب الرحمة. ويلجأ الشيعة وأهل الولاية والمحبّة في زمان الغيبة إلى قراءة حديث الكساء الشريف، للنجاة من المسكنة وقلة الحيلة، بشرط أن لا يقلّ عدد الأفراد المجتمعين لقراءة الحديث عن ثلاثة[1]، وكلما كان العدد أكبر، كلما كان ذلك أفضل. ومن آثار حديث الكساء حلّ المشكلات ورفع الهموم والغموم بضمانةٍ من الله وأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) باعتبار أنه مطلوب الجمع.

بركات شهر رجب

شهر رجب هو من أشهر الرحمة والمغفرة والتوبة والإنابة، وهو شهرٌ يُشمَلُ فيه أهل المحبة بالألطاف الإلهية الخفية. وفيه تكثر الولادات السعيدة لأئمتنا عليهم السلام، فمن الأدعية الواردة في هذا الشهر: «اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب، محمد بن عليّ وابنه عليّ بن محمد المنتجب»[1]. ولم تتمّ الإشارة في هذا الدعاء إلى الولادة السعيدة لأمير المؤمنين عليه السلام لأنّ هناك إجماع شيعيّ على وقوعها في الثالث عشر من شهر رجب، كما لم يتم الإشارة إلى مناسبة المبعث النبوي الشريف، في السابع والعشرين من هذا الشهر، لأنها من المسلّمات لدى الجميع. ولهذا السبب، أشير إلى ولادات بعض الأئمة الآخرين.

مظهر اسم الجواد

ويفيض هذا الشهر بالبركة، خصوصاً لجهة ولادة الإمام الجواد عليه السلام. والجواد هو أحد الأسماء الإلهية التي تجلّى مظهرها في الإمام محمد بن عليّ الجواد عليه السلام. فقد اختصّ الله سبحانه وتعالى الإمام محمد التقي عليه السلام بلقب الجواد، وهو كان الأصغر سناً من بين كل الأئمة عليهم السلام. وقد ورد في تعقيبات الصلوات خلال شهر رجب: «يا من أرجوه لكلّ خير وآمن سخطه عند كلّ شرّ، يا

(١) من أدعية شهر رجب في مفاتيح الجنان، ولادة الإمام الجواد عليه السلام في العاشر من شهر رجب وولادة الإمام الهادي عليه السلام في الثاني أو الخامس من شهر رجب.

من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة» ثم نقول: «يا ذا النعماء والجود»[١]، ما يشير إلى أنّ جريان كل تلك المسائل يتمّ عبر جواد الأئمة عليهم السلام. وتُشتقّ كلمة «جواد» من «الجود»، فإذا أردنا أن نعرف معنى جود الله وأن نفهم ظهور دعاء «يا جواد يا كريم»، علينا أن نقرع باب الإمام الجواد التقي[٢] عليه السلام.

معنى الجود

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك فرقاً بين السخاء والجود. فالسخاء هو إعطاء السائل، والسخيّ هو الذي يُنفق من ممتلكاته وأمواله على نفسه لأنه بحاجةٍ إليها ولكن، في الوقت عينه، يعطي الآخرين ولا يبخل عليهم. فالسخاء، إذاً، هو منشأ العطاء وأساسه. أما الجود، فيعني أن لا ينفق الإنسان على نفسه شيئاً، بل يهب كل ما يملكه إلى الآخرين. وبالنسبة للممكنات، أي البشر العاديين، يُقال للجواد جواداً عندما يكون محتاجاً ولا ينفق على نفسه شيئاً بل يهب كل ما لديه للآخرين. وبالتالي، فإنّ معنى الجود هو الإحتياج الشديد والإيثار في الوقت نفسه، أي أنّ

---

(١) من أدعية شهر رجب، مفاتيح الجنان.

(٢) أسماء الأئمة مشتقة من أسماء الله، فرائد الصمدين ج١ ص٣٦. وبالتالي فأسماء الأئمة مشتقة من أسماء الله وليست متوقفة على صفات الإمام في دار الدنيا إنما على ذاته تعالى التي ظهرت بصفات في دار الدنيا كالمحمودية لمحمد صلى الله عليه وآله والعلو لعلي عليه السلام والفاطرية لفاطمة عليها السلام والجود للجواد عليه السلام.

الإيثار هو أساس الجود. فقد يكون الإنسان جائعاً إلا أنه يُطعِمُ خبزه للغير ويتحمّل الجوع، وهذا هو الإيثار عند الممكنات. وحين يؤثِر الإنسان الآخرين على نفسه ويسدّ حاجاتهم بدل حاجاته، يصبح جواداً نسبةً إلى الآخرين. غير أنّ الجود الذي يتجلّى في ذات الباري وفي أئمتنا ﷺ له مفهوم مختلف، إذ لا يعني الإحتياج والعوز، بل يعني الاستغناء. فالحقّ جواد وكريم، «يا جواد يا كريم»، ولكنه غير محتاج إلى شيء، لأنه مستغنٍ عن كل شيء.

إذاً، هناك فرق بين هذين النوعين من الجود. وعلى سبيل المثال، كان حاتم الطائي جواداً لأنه كان من المحتاجين ولكنه في الوقت عينه، يؤثر الآخرين على نفسه. ولم يُرَ رجل أفضل من حاتم الطائي في هذا المجال، حيث كان معروفاً بعدم ردّ أي سائل يقصد بابه، فاكتسب لقب جواد العرب الأول. ولكنّ الطائي حاز على ما حاز عليه بفضل أبنائه وأحفاده، وذلك لأن ولاية الأبناء يسري أثرها إلى الآباء والأجداد وهي موجِبه للمغفرة والقربة. فكما أنّ آثار الآباء والأجداد تسري إلى الأبناء، فإنّ العكس صحيح أيضاً، حيث يعود شرف آدم إلى الخاتم ﷺ، وشرف النبيّ إبراهيم إلى أمير المؤمنين عليّ المرتضى[1] ﷺ، صاحب الولادة النورانية والحقيقة غير المعروفة.

---

(١) ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ سورة الصافات، آية ٨٣. أبو بصير قال: «سأل جابر الجعفي أبا عبدالله ﷺ عن تفسير قوله عز وجل ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ فقال إن الله لما خلق إبراهيم كشف له عن بصره فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال إلهي=

أثر الأبناء على الآباء

انطلاقاً ممّا سبق، للأبناء أثر على الآباء، فقد يكونون سبباً في نيل آبائهم الشرف والرّفعة. ويعود شرف حاتم الطائي إلى ابنه عدي وحفيده طرمّاح بن عدي اللذين كانا عاشقَيْن لأمير المؤمنين عليه السلام. كما كان طرماح دليلَ قافلة الحسين وشاعراً للإمام عليه السلام. وطوال الطريق من المدينة إلى كربلاء، اهتمّ طرمّاح بمؤانسة أهل البيت عليهم السلام والشباب الهاشميين الذين كانوا برفقة الحسين عليه السلام. وأما عديّ، فكان من أشجع الشجعان الذين حاربوا مع أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أوجب الشهرة لحاتم الطائي. وإلّا فإنّ أهل السخاء في صفوف العرب لا يُحصون، فلماذا اشتهر

=ما هذا النور؟ فقال له هذا نور محمد صلى الله عليه وآله صفوتي من خلقي. ورأى نوراً إلى جنبه فقال إلهي وما هذا النور؟ فقيل له هذا نور علي بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني. ورأي إلى جنبهم ثلاثة أنوار فقال إلهي وما هذه الأنوار؟ فقيل له هذا نور فاطمة عليها السلام فطمت محبيها من النار ونور ولديها الحسن والحسين عليهما السلام فقال إلهي وأرى أنواراً تسعة قد حفوا بهم؟ قيل يا إبراهيم هؤلاء الأئمة عليهم السلام من ولد علي وفاطمة. فقال إلهي أرى أنواراً قد احدقوا بهم لا يحصي عددهم إلا أنت؟ قيل يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة علي عليه السلام. فقال إبراهيم عليه السلام وبم تعرف شيعته؟ قال بصلاة الإحدى والخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والقنوت قبل الركوع والتختم باليمين. فعند ذلك قال إبراهيم اللهم اجعلني من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام قال فأخبر الله في كتابه فقال ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني ج ٨ ص ١٧١، مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ج ٤ ص ٣٩٩. الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي ص ١٥٨. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ج ٣ ص ٣٦٥. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني ج ٤ ص ٣٨. بحار الانوار، العلامة المجلسي ج٣٦ ص ١٥١.

حاتم الطائي بالذات؟ ولماذا اشتُهر قيس العامري المجنون، من بين كل العشاق؟

أثر الارتباط بالحسين عليه السلام

تعود شهرة قيس المجنون[١] إلى نيله شرف وساطة الإمام الحسين عليه السلام في خطبته لليلى. فكل من يرتبط بالحسين وأهل البيت عليهم السلام، يشتهر في السماوات والأرض ويدوم ذكره، مهما كان المجال الذي ينتمي إليه، ومردّ ذلك إلى ارتباط هذه الشخصيات بوجه الله. فأمير المؤمنين عليه السلام هو حقيقة الكل[٢]

---

(١) يُروى أنه كان هناك في زمن معاوية لعنه الله رجل اسمه قيس بن ذريح وكان عاشقاً لفتاة اسمها لبنى، وكان معروف بلقب «مجنون لبنى». وعندما ضاقت به السبل، لجأ إلى الحسين بن علي عليه السلام الذي كان أخاه في الرضاعة، حيث كانت قد أرضعته أم قيس. فوسّطه في الأمر، وشاء الله أن تكلل وساطة الحسين عليه السلام بالنجاح.

(٢) من كلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «... فلما أراد الله عز وجل بدو خلقنا تكلم بكلمة فكانت نوراً ثم تكلم كلمة ثانية فكانت روحا فمزج فيما بينهما واعتدلا فخلقني وعلياً منهما ثم فتق من نوري نور العرش فأنا أجلّ من العرش ثم فتق من نور علي نور السماوات فعلي أجلّ من السماوات...»، بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧ ح١٦. وفي الحديث القدسي: يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما. مستدرك سفينة البحار، ج٣ ص٣٣٤، عوالم العلوم، ص٢٦. والمقصود بالإيمان هو أمير المؤمنين عليه السلام ويدل على ذلك قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عندما برز عليّ عليه السلام لقتال عمرو بن ودّ العامري عليه لعائن الله: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله» (كشف الغمة ج١ ص٢٠٥) وقوله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، حبّك (تقوى) وإيمان» (بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٦٣)، فعن أبان بن تغلب الكندي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: إنّ روح الإيمان واحدة خرجت من عند واحد وتتفرق في أبدان شتى فعليه ائتلفت وبه تحابت وستخرج من شتى ويعود واحداً ويرجع عند واحد. =

وكل الحقيقة وحقّ الكل وكلّ الحق، ومجرّد التفكير بزيارته أو زيارة الحسين عليه السلام يجزي صاحبه كثيراً من الثواب والزلفى.

ذكر عليّ عليه السلام يحفظ القلب

ويقول الإمام الصادق عليه السلام إن زائر أمير المؤمنين عليه السلام يُدخل أربعين شخصاً[١] إلى الجنّة بمجرّد أن تقع عيناه عليهم لدى عودته من الزيارة[٢]. كما ورد عنه عليه السلام: «يا ابن مارد، من زار جدي عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة حجة مقبولة وعمرة مقبولة. والله يا ابن مارد ما يطعم الله النار قدماً تغبّرت في زيارة أمير المؤمنين ماشياً أو راكباً، يا ابن مارد اكتبْ هذا الحديث بماء الذهب»[٣].

ويحفظ نداء «يا عليّ» عرش الرحمن لأنّ اسم «عليّ» يمثّل ركن

=نقله المجلسي في البحار ج ١٥ باب السكينة وروح الإيمان. ويقول الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (سورة لقمان، آية ٢٨). ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ (سورة آل عمران، آية ٦١).

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي أشفع يوم القيامة فأشفّع فيشفع علي عليه السلام فيشفّع، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعةً يشفع في أربعين من إخوانه (١) إخوانه كلّ قد استوجبوا النّار (٢)».
(١) أوائل المقالات ص٧٩ و٨٠، القول في الشّفاعة. (٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ج١ ص١٣٢، والبحار ج٨ ص٣٠.

(٢) قال العلامة السيد مهدي القزويني: وسمعت من بعض مشايخنا الثّقات أنّ النّفس عند عليّ عليه السلام يعدل عبادة أربعمائة سنة. القزويني، المزار، ص ٥٩.

(٣) فرحة الغري، ص١٤٧.

العرش[١] الذي هو، بدوره، قلب المؤمن. وبالنتيجة، يحفظ نداء «يا عليّ»[٢] قلب المؤمن ويقوّيه. أمّا غيابه، فيهزّ ذلك القلب الذي لا يعود مكاناً لعرش الله. وفي حديث معتبر عند الشيعة والسّنة، يقول رسول الله ﷺ: «زيّنوا مجالسكم بذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٣]. وقد كان رسول الله ﷺ يحصل على المدد من أمير المؤمنين عليه السلام عندما يناديه: «يا عليّ». فعندما تُرك رسول الله ﷺ وحيداً في معركة أُحُد، إلتجأ إلى الله تبارك وتعالى يشكو إليه غربته ووحدته منادياً: مدد يا الله. فجاء الردّ أن «نادِ علياً مظهر العجائب»[٤].

عشق الحسين عليه السلام الدواء الأنجع

ولكن، لأنّ لغة أهل البيت عليهم السلام هي لغة المحبّة دائماً، يبقى نور باب الحسين عليه السلام هو الأكثر إشعاعاً بحسب ما يُنقل من الأحاديث عن الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام. وصحيحٌ أنهم كلهم نور واحد في مقام النورانية، إلّا أن الحسين عليه السلام يختلف عمّن عداه. فعند ذكر

---

(١) من حديث رسول الله ﷺ لطارق بن شهاب: «... وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي وليّ الله». لوامع أنوار التمجيد، للشيخ رجب البرسي.

(٢) قال رسول الله ﷺ: عندما أنهيت كلامي مع ذات الله قال لي الله: «يا علي». فرددت عليه بـ«يا علي». المعراج ص١٧، كلام الله ص٧١، حياة الأئمة ص٤٩.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص٣٦٨ والخصائص للنسائي ج٩ ص٢٤.، البحار ج٣٨ ص١٩٩.

(٤) مستدرك الوسائل، ج ١٥ ص٤٨٣، البحار، ج ٢٠ ص٧٣.

اسم الحسين عليه السلام، يتحرّك القلب وينفتح أمام كل العنايات والألطاف والمَرحمات.

وفي هذا الصدد، يُروى أنّ عجوزاً شيرازياً كان يسكن كربلاء لشدّة عشقه لسيّد الشهداء عليه السلام. وظلّ مدة أربعين سنة، لا يخرج من كربلاء أبداً. لفت هذا الحال المحيطين به فقالوا له: إنك لم تزر أمير المؤمنين عليه السلام حتى الآن، ومن الواجب عليك أن تذهب لزيارته. فهو من أعطاك الإمام الحسين، إذهب لتشكره على ذلك. فأجابهم الرجل: أنا أعشق الحسين عليه السلام ولا طاقة لي على مغادرة كربلاء. بعد أخذٍ وردٍّ، استطاع المقرّبون منه التحايل عليه بطريقة محبّبة واصطحبوه إلى النجف ليزور ويعود سريعاً. فدخل إلى الصحن وخاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: حبيبي يا عليّ، أودّ أن أخبرك بأمر، وإذا رغبتَ بتقطيعي أو إحراقي أو تمزيقي، فلتفعل. إنّ عزة كل الأبناء من آبائهم، ولكنّ عزّتك من ولدك الحسين. ثم ودّعه ورحل. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا من حسين». وبمعنى من المعاني، يحتاج الجواد نفسه إلى الحسين عليه السلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]

حديث الكساء وآية التطهير

إنّ حديث الكساء هو بمثابة شرحٍ وتفسيرٍ لآية التطهير الكريمة والمباركة التي يرجع شأن نزولها إلى الذوات المقدسة الطيّبة للمعصومين الخمسة عليهم السلام. وقد تكلمنا سابقاً عن أنّ الإرتباط بالحقائق يكون تارة عبر الرؤية، وتارةً عبر السّماع، وتارةً أخرى عبر اللمس والملموسات.

المصافحة توصل إلى الحقيقة

ولا ضيْرَ في التذكير بالمثال الذي ضربناه عن طريق اللّمس، حيث قلنا إنه عندما يتشرّف أهل المحبّة بزيارة المشاهد المشرّفة،

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

تدفعهم فطرتهم الولائية إلى مدّ أيديهم لتلَمُّسِ الضريحِ على نحوٍ لا إرادي. والحقيقة أنّ الإنسان يرتبط بالوليّ المطلق في تلك الأمكنة. وكذلك هو الحال مع الحجر الأسود، إذ إنّ مجرّد تلمّس الحجر لا يعني شيئاً، وإنّما الهدف من ورائه الإستدلال على طريق الحقيقة والتعرّف عليها. وفي هذا السياق، نجد أن العلاقة بين الأب والإبن تبدأ عن طريق اللمس والمصافحة. فحين يمدّ الأب يده، يسارع الطفل إلى ملامستها ومصافحتها وهو لا يزال غير قادرٍ على التكلم. وهكذا، يصل الإبن إلى حقيقة الأبوّة والأب إلى حقيقة البنوّة. وإنّما يصافح الناس بعضهم البعض، بصرف النظر عن أديانهم المتباينة، رغبةً منهم في التعرّف إلى حقيقتهم الإنسانية عن طريق اللمس. وكم هي كثيرة الروايات التي تتحدث عن المصافحة ومدى استحبابها. ففي يوم الغدير، على سبيل المثال، يُستحبّ للمؤمنين التصافح والتآخي[1]. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى رِفعة المعاني التي تنطوي عليها صيغة الأخوّة المستحبّ قراءتها في هذا العيد. ولعلّ من معاني التصافح والتآخي في ذلك اليوم، أننا لم يُقدَّر لنا التواجد هناك في غدير خم عند نزول الولاية حتّى

(١) من مستحبات عيد الغدير: أن يقول المؤمن عند المصافحة: الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام. وأن يضع اليد اليمنى على اليد اليمنى لأخيه المؤمن ويقول: آخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه والائمة المعصومين عليهم السلام على أني إن كنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لي بأن أدخل الجنة لا أدخلها إلاّ وأنت معي» ثم يقول أخوه المؤمن: «قبلت» ثم يقول: «أسقطت عنك جميع حقوق الأخوة ماخلا الشفاعة والدعاء والزيارة». مفاتيح الجنان.

نحظى بمصافحة يد أمير المؤمنين عليه السلام. ولذلك، نقوم اليوم بمصافحة محبّيه[١].

معنى «الكفر» ومفهومه

إنّ لهذه الأمور وجوداً حقيقيّاً. ولكن هناك من يُنكر الولاية ويتذمّر منها فلا تمكث في قلبه. وهناك من يقبل بها ضمنياً إلّا أنّه يُنكرها ويكفر بها من الناحية العملية. فما هو الكفر أصلاً؟ الكفر هو أن يتذوّق المرء طعمَ شيء ما ويلتذّ به ويَقبل بتمام معناه في نفسه إلّا أنه لا يقرّ به، وهكذا يصبح كافراً. وفي القرآن آيتان أو ثلاث تحمل المضمون نفسه: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[٢]. الحديث هنا عن أهل العلم وأهل العرفان، حيث تعود كلمة «يعرفون» إلى العارفين بالحقّ والحقائق. ومن اللافت أنّ الآية خصّت الأبناء بالذكر لا الأولاد ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وليس أولادهم.

من هم الذين يُعرفون ببناتهم؟

وفي عالم الوجود، هناك موردان لا ثالث لهما، تُعرف فيهما الحقائق عن طريق البنات وليس الأبناء. ويرتبط المورد الأول

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من صافح محبّاً لعليّ عليه السلام غفر الله له الذنوب وأدخله الجنّة بغير حساب. مائة منقبة لابن شاذان: المنقبة التاسعة والثلاثون، المناقب للخوارزمي الحنفي ص٣١٦ ح٣١٧، بحار الأنوار ج٢٧ ص١١٥ ح٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٦.

بالسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله[١] صلى الله عليه وآله، حيث لا يتمّ العرفان بخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله إلا عن طريق ابنته الصديقة عليها السلام. وبالتالي، ينبغي سلوك هذا الطريق للتعرّف على الحقائق الباطنية المرتبطة برسول الله صلى الله عليه وآله والتماس المدد منه. ونلاحظ أنّه في دعاء التوسل، يشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بكنية «أبا القاسم»، ولا شكّ في أنّ التوسل بهذه الكنية مفيد للغاية؛ غير أنّ الوصول إلى المعرفة الكاملة برسول الله يتحقّق عبر الاستفادة من كنيته «أبا الزهراء»، مع الإلتفات إلى وجوب عدم إظهار الكلام السابق على الملأ لأنّ المشترين له قلة[٢].

ويقال إنّ كلّ من يعرف اسم أمّ النبي موسى عليه السلام، يتمكن من فتح أيّ قفل مستعصٍ. غير أن السيد مرتضى الكشميري اعتبر أنّ أمّه ليست أقل شأناً ومقاماً من أمّ موسى عليه السلام فتلفّظ باسم السيّدة الزهراء عليها السلام على أحد الأقفال المغلقة، وإذا به يفتح.

إذاً، فرسول الله «يعرفونه كما يعرفون ابنته». وحتماً، لا ينبغي

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبيّ. فرائد السمطين ج٢ ص٦٦. وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾، سورة الشعراء آية ١٩٢، ١٩٣، و١٩٤. وفاطمة عليها السلام قلبه، فافهم.

(٢) إبراهيم بن هاشم، عن يحيى بن عمران، عن يونس، عن سليمان بن صالح رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ حديثنا هذا تشمئز منه قلوب الرجال، فمن أقرّ به فزيدوه ومن أنكره فذروه، إنه لابد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة حتى يسقط فيها من كان يشق الشعر بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا. بحار الأنوار ج٢ ص١٩٣ و١٩٤ ح٣٩.

ترك التوسّل التقليديّ، ولكن عند البلاءات الشديدة، إلجأوا إلى التوسّل بالاستفادة من كنيته المرتبطة بالزهراء عليها السلام ونادوه: «يا أبا الزهراء».

أما المورد الثاني، فيتعلق بالسيّدة زينب[1] عليها السلام، حيث يُعرف

---

(١) لقد وصلت السيدة زينب سلام الله عليها إلى مقام الولاية الذي هو أعلى من مقام النبوة. وكل من يدخل في شؤون الولاية يكون عارفاً بالعلوم جميعها من دون استثناء، فقد خاطب الإمام زين العابدين عليه السلام عمته قائلاً: «عمّة زينب، أنتِ بحمد الله عالمة غير مُعلمة وفهمة غير مُفهّمة» (بحار الأنوار ج٤٥ ص١٦٢). ويتضح من الرواية أنّ السيدة زينب عليها السلام لم تتلقّ علومها على يد رسول الله ولا عليّ بن أبي طالب ولا الحسن ولا الحسين بن علي صلوات الله عليهم وعلى آلهم أجمعين، إنما هي مُعلّمة من قبل الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (سورة البقرة، آية ٢٨٢) فهل ثمّة من اتّقى الله أكثر من زينب سلام الله عليها؟ وعلاوة على ذلك، فإنها ممن اختصّهم الله بالتطهير من كل رجس، حيث قالت عليها السلام في خطبتها في الكوفة: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمدلله» (الإرشاد، للشيخ المفيد، ص٢٤٣ و٢٤٤). وقد يسأل سائل عن دليل تقدّم الإمامة على النبوّة في الأهمية. ونحن، كموالين لآل محمد صلى الله عليه وآله، علينا التسليم لهم في كل الأمور كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام حين قال: «من سرّه أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد، فيما أسرّوا وما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني» (الكافي الشريف ج١ ص٣٩١). ومن هنا، نذكر بعض المطالب الخاصة بالأنبياء أولي العزم، في هذا الشأن، ونقول: إنْ كان مقام النبوة أعلى من مقام الإمامة، فكيف جعل الله نبيَّه إبراهيم عليه السلام إماماً بعد أن كان نبياً كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام، حيث قال: «إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً فلما جمع له الأشياء قال: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (سورة البقرة، آية ١٢٤). قال: فمن عظمها في عين إبراهيم ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال: =

=﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة، آية ١٢٤) قال: لا يكون السفيه إمام التقي» (الكافي الشريف ج١ ص١٧٥). وتعتبر كلمة الجعل في الآية الكريمة، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، نصاً في أنّ الإمامة منصب يجعله الله سبحانه لمَن يشاء مِن خلقه، وقبل ذلك لم يكن النبيّ إبراهيم عليه السلام قد وصل إلى مقام الهداية بعد، فقد قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (سورة الصافات، آية ٩٩). أما نبيّ الله عيسى عليه السلام، فلم يكن قد امتلك كل الحقيقة، حيث قال لأصحابه: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ (سورة الزخرف، آية ٦٣)، في حين أنه بقرينة حكمة المعصوم، يجب أن يبيّن كل الذي يختلفون فيه لو كان يعرف كل الحقيقة. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة آل عمران، آية ٥٥)، فالتطهير كان لاحقاً له، والقرآن ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (سورة الواقعة، آية ٧٩) وبحسب الطهارة يكون المسّ. أما مَن شأنه الإمامة والولاية، فقد أذهب الله عنه الرجس وطهّره تطهيراً منذ الأزل بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب، آية ٣٣). وبالنسبة لنبيّ الله موسى، فقد قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ (سورة الأعراف، آية ١٤٥). وحين التقى بالخضر طلب منه أن يعلمه: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (سورة الكهف، آية ٦٦)، فأجابه الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (سورة الكهف، آية ٦٧ و٦٨) وإنما يدلّ هذا على أنه لا يمتلك العلم كله. كما خاطب الله تعالى نبيّه نوح عليه السلام قائلاً: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (سورة هود، آية ٤٦)، ما يشير إلى أن النبي نوح لم يكن محيطاً بكل العلوم. وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح عليه السلام أولَ من يُدعى به فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله قال: فيخرج نوح عليه السلام فيتخطى الناس حتى يجيء إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو على كثيب المسك ومعه عليّ عليه السلام وهو يقول الله عزّ وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سورة الملك، آية ٢٧) فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله: يا محمّد، إن الله تبارك وتعالى سألني هل بلغت؟ فقلت: نعم. فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمّد صلى الله عليه وآله. فيقول: يا جعفر، يا حمزة، اذهبا واشهدا له أنه قد بلغ. فقال أبو عبدالله عليه السلام: فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء بما بلغوا،=

أمير المؤمنين عليه السلام بأبنائه وبناته كذلك. وكما أنّ والدتها السيّدة الزهراء هي «أمّ أبيها»، فكذلك هي زينبٌ «زين أبيها». وإنّما هذه حقيقة في هذا العالم، فلا فرق بين أمّ الأب وزين الأب. ولتوضيح المسألة، فقد تحقّق للسيّدة فاطمة عليها السلام أن تكون أمّ أبيها في حين لم يتحقّق ذلك للسيّدة زينب عليها السلام. وذلك لأنّ جلال الحسن والحسين عليهما السلام لم يدعها تصبح أمّ أبيها بالفعل، إذ كان قوياً إلى درجة أنه حال دون تحقق ذلك، وإلّا فإنّ السيّدة زينب هي أمّ أمير المؤمنين عليه السلام.

وإنْ أردتم أن يوليكم أمير المؤمنين عليه السلام عنايةً كبيرة، خاطبوه وتوسّلوا إليه بابنته زينب وأعلنوا له علمَكم بأنها «أمّ أبيها». وكيف لا تكون كذلك؟ في المصائب ينادي الإنسان أمّه، وعندما سجّى أمير المؤمنين السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في لحدها وأراد الخروج، لم يقدر على ذلك وكأنّ قوته قد ضاعت منه، وكذلك كان حالُ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. وفي تلك اللحظات، نادى ابنته زينب وقال لها: تعالي يا حبيبتي أمسكي بيدي

=فقلت: جعلت فداك فعليّ عليه السلام أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك» (الكافي الشريف ج٨ ص٢٦٧). وما هذا إلا شأن من شؤون الولاية، فالإمامة أعظم شأناً من أن تدرك بعقول الناس، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ عيسى بن مريم أُعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وإبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله جَمَع ذلك كلّه لمحمّد صلى الله عليه وآله» (الكافي الشريف ج١ ص٢٣٠).

وساعديني. أوَليست هذه أمّ أبيها؟ إنّ للسيدة زينب عليها السلام شأناً عظيماً للغاية، فنسأل الله أن يجعلنا من العارفين بها.

ومن غير المعروف ما إذا كان قبر السيدة زينب عليها السلام موجوداً في مصر أم في الشام أم في المدينة، علماً أنّ الأدلة والبراهين الروائية والتاريخية التي تقول بوجوده في مصر هي الأقوى. ومثلما هي أمّ أبيها، فهي أيضاً «المخفيّ قبرها».

أهل البيت عليهم السلام هم كل الوجود

إنّ أهل البيت عليهم السلام هم حقيقة الكلّ الجارية في عالم الوجود[١]، فهم غير مرتبطين بمكان معيّن لأنهم كل الكون وكل الوجود[٢]. وهم لا على الأرض ولا في السماوات، بل إنّ مكانهم عند الله تعالى. والقرآن نفسه يؤكد ذلك: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، فهذه الذوات المقدسة هي أتمّ مصداق لهذه الآية. وينطبق هذا المفهوم على السيدة زينب عليها السلام أيضاً، لأنها شهيدة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ

---

(١) ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة: «... بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذاكرين وأسماؤكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلّ خطركم وأوفى وعدكم وأصدق وعدكم...»، مفاتيح الجنان.

(٢) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... لأن الدّهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهوده..»، الهداية الكبرى، صحيفة الأبرار ج٢ ص٥١٨.

أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١]. فقد قدّمت السيّدة زينب عليها السلام روحها في سبيل الله، وذلك من خلال عشقها لسيّد الشهداء عليه السلام. وبالتالي، مضت زينبٌ شهيدةً في سبيل محبّة أخيها الحسين عليه السلام.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها إنه بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل عليّ وفاطمة عليهما السلام، أجلس الحسين عليه السلام في حجره وراح ينظر إليه ويقبّله بطريقة خارجة عن المألوف، وعندما لاحظ أمير المؤمنين ذلك، سأله: يا رسول الله، كيف هو ارتباطك بالحسين؟ وفيما بعد، أتى الجواب من رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام فقال: حبيبتي يا فاطمة، حين أضع الحسين في حجرى وأحتضنه «يُراءى لي الله».

فما معنى ذلك؟ يعني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يرتبط بالحقيقة الأرفع عن طريق الحسّ واللمس، إذ يقول: عندما أحتضن الحسين عليه السلام، أرى الله ويصبح في تلك اللحظة قابلاً للّمس بالنسبة لي، «يرائي لي الله»[٢].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

(٢) عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ثم قال: **يا فاطمة، يا بنت محمد، إنّ العلي الاعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيا هيئة**، وقال لي: يا محمد، أتحبّ الحسين عليه السلام، فقلت: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمد ـ ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام ـ بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني؛ ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما انه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة. كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٤١ ح١٦٦ وح ١٧٤.

وتفيد كلمة «يرائي» المراءاة للطرفين، فكما أنّ رسول الله ﷺ يرى الله من خلال الحسين، فكذلك الحسين عليه السلام يرى الله من خلال الرسول[١] ﷺ.

وفي رواية أخرى، أجلس أمير المؤمنين السيّدة زينب عليها السلام في حجره، فقال لها: بنيّتي، إني أحبّك كثيراً. أجابت: ولكن يا أبي، ليس القلب إلا لمحبّة الله فقط، فأين ذهبت هذه المحبة؟[٢] عندها، قال عليه السلام: حبيبتي يا زينب، إنّ محبّتك هي محبّة الله. وهذا هو التوحيد؛ التوحّد مع الذات اللامتناهية التي لا يعرفها أحد.

التوحّد مع المبدأ

إذاً، يقول رسول الله ﷺ: إنّ الحسين عليه السلام «يُرائي لي الله» في حين يقول أمير المؤمنين عليه السلام لزينب عليها السلام: إنّ محبّتك هي محبّة الله. وهذا هو التوحيد، لا بل كماله؛ التوحّد مع المبدأ الذي يرشد الإنسان، بدوره، إلى الحقيقة.

الكل يعلم بأنّ هناك شروطاً لإتمام الزواج بين الخطيبين، وقد وضعت السيدة زينب عليها السلام شرطاً وحيداً للزواج من ابن عمها

---

(١) عن رسول الله ﷺ: المؤمن مرآة لأخيه المؤمن...، بحار الأنوار ج٧١ ص٢٣٣ ح٢٩. والترائي بمعنى التجلي التام.

(٢) نقل أنّ السيدة زينب عليها السلام سألت أباها ذات يوم فقالت: أتحبنا يا أبتاه؟ فقال الإمام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي. فقالت: يا أبتاه إنّ الحب لله تعالى، والشفقة لنا. «زينب الكبرى» للنقدي ص٣٥.

عبدالله بن جعفر، وهو أن يسمح لها برؤية أخيها الحسين عليه السلام كلّ ثلاثة أيام لأنها لا تتحمّل فراقه. وبالفعل، تمّ الزواج بعد أن وافق عبدالله بن جعفر على ذلك الشرط. وحين بدأت الحركة من المدينة باتجاه كربلاء، أخبرت السيدة زينب عليها السلام زوجها عبدالله بن جعفر بضرورة أن ترافق الحسين عليه السلام في رحلته لأنّ فراقه صعب عليها[1].

(١) لما اطّلعت السيدة زينب عليها السلام على عزم أخيها الإمام الحسين عليه السلام اضطربت اضطرابا شديداً خوفاً من أن يمنعها زوجها وابن عمها عبدالله من مصاحبتها لأخيها، ولذلك جاءت إلى ابن عمها عبدالله، مسرعة تقول له وهي باكية: يا ابن العم، هذا الإمام الحسين عليه السلام أخي وشقيقي قد عزم على المسير إلى العراق، وأنت تعلم علاقتي به، ومحبتي له، وعدم صبري على فراقه، وحيث إن النساء لا يجوز لهن السفر ولا الخروج من البيت إلا برضى أزواجهن، جئت إليك أطلب منك الإذن في السفر مع أخي الإمام الحسين عليه السلام، فإن لم تأذن لي بذلك امتثلت أمرك وانتهيت بنهيك ولم أذهب معه، ولكن كن على علم بأني لو لم اذهب معه لما بقيت بعده في الحياة إلا قليلاً. وما إن تمّ كلام السيدة زينب عليها السلام وانتهى استئذانها حتى سالت دموع ابن عمها عبدالله على خديه، وأجهش لها بالبكاء حيث أنه لم يعُد يتمالك نفسه لما رأى السيدة زينب عليها السلام قلقة مضطربة هذا الاضطراب الشديد، ووجلة ومنقلبة هذا الانقلاب العجيب، بحيث أنه لو واجهها بكلمة، لَفارقت الحياة من شدّة الصدمة وماتت من حينها، ولذلك، وكما ورد: من أن أمير المؤمنين عليه السلام لما زوج ابنته زينب عليها السلام من ابن أخيه عبدالله بن جعفر، اشترط عليه في ضمن العقد أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين عليه السلام. قال لها: يا بنت المرتضى، ويا عقيلة بني هاشم، نهنهي عن نفسك، وهوني عليك، فإني لا أجهل علاقتك ولا أنسى مواقفك، فافعلي كيف شئت، وحسبما تحبّين، فإني عند رأيك، وأمر ابنَيْه عوناً ومحمداً بالمسير مع الحسين عليه السلام، والملازمة في خدمته، والجهاد دونه. فسرّت السيدة زينب عليها السلام من موقف ابن عمها عبدالله تجاهها وشكرته على ذلك، ثم ودعته وغادرت بيته لتلتحق بأخيها الإمام الحسين عليه السلام. الخصائص الزينبية، ص١٧٤.

ولكن، كيف تحمّلت ذلك الفراق الطويل؟ فعندما استشهد الحسين عليه السلام، رمَت بنفسها على جسده ولم يستطع أحدٌ فصلَها عنه إلا بالقوة، «فجرّوها عن جسد أخيها».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1]

أصحاب الحقيقة هم المقصد

يبحث السّاعي وراء الحقيقة عن صاحب تلك الحقيقة، بالمعاينة والمشافهة، حتى يتمكّن من الوصول إليه. فأصحاب الحقيقة هم مقصد ومطلوب ورجاء الباحثين عنها. وسنضرب مثالاً حتى يتركّز المعنى في الذهن والفكر والروح بشكل أفضل: إنّ التوحيد هو حقيقة من حقائق عالم الوجود، وعلى كل باحثٍ عن التوحيد أن يصل إلى صاحبه، لكي يتّضح معنى هذه الحقيقة بالنسبة له. وما لم يتحقق الارتباط بالموحّد التام، لن يتم الوصول إلى حقيقة التوحيد، فالموحّدون هم أصحاب هذه الحقيقة.

---

(١) سورة القصص، آية ٥.

وهكذا، لا تتمكن الاستدلالات ولا البراهين ولا الأحاديث والأقوال التي يسمعها الباحث عن التوحيد من أن تروي عطشه، إذ لا يُروى عطشه ولا يُسكّن من روعه إلا عند العثور على الموحّد، صاحب تلك الحقيقة المنشودة، والإمساك بيده.

الحقيقة لا نهائية

ومن بين الألقاب التي يُعرف بها حضرة بقية الله عجل الله فرجه، لقب «صاحب الزمان». فالزمان حقيقة وصاحبها هو هذا الموجود النوراني، الغائب عن كل فكر ونظر وعقل. ولو لم يكن غائباً، لانتهت المسألة ووصل الطريق إلى نهايته. إلا أنه في هذه الغيبة، يُمنح اللانهائية من قبل الحق. وبالتالي، فإنّ غيبته ضرورية وهي أصل من أصول الحقائق. وإذا وصل الباحث عن الحقيقة في خياله ووهمه[1] وظنّه إلى تلك الحقيقة سيصل هذا المطلب إلى نهايته. فرسم الحدود لهذا البحث يوجِد النقص فيه، في حين أنه لا نهائي ولا يعلم حدّه إلا الله سبحانه وتعالى.

إمام الزمان عجل الله فرجه سيّد المستضعفين

إذاً، الغيبة هي من اللوازم الذاتية لصاحب الحقيقة، الذي هو واحد وليس أكثر. وفي القرآن يَرِدُ هذا المضمون: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ

(١) من المناجاة الثانية عشرة للإمام زين العابدين عليه السلام، مناجاة العارفين: «إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك»، مفاتيح الجنان.

وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١]، فليس هؤلاء «الذين آمنوا» سوى شخص واحد فحسب وهو أمير المؤمنين عليه السلام. وإذا كانت الصيغة قد أتت بالجمع، فذلك للفت انتباه المخاطَب والمُستمِع أكثر إلى تلك الحقيقة، وإلا فإنّ الولاية محصورة به. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾- «نحن» أي الله، و«نحن»[٢] أي ربّ العالمين، و«نحن» أي المؤثّرون في عالم الوجود - نريد أن نمنّ على كل مستضعف في العالم. ولكن، يختلف معنى ومفهوم كلمة «المستضعف» المذكورة في هذه الآية عمّا هو رائج بين الناس. فلا يفهم هذا المعنى، من هو ليس على علمٍ بالحقيقة.

ولكنّ المطّلعين على عالم الحقيقة، يعرفون أنّ إمام الزمان عليه السلام «مستضعف»[٣]، بل هو زعيم المستضعَفين. فما الذي يعنيه هذا «الضعف»؟ إنّ كل الوجود وكل الناس، ومن ضمنهم المحققون والعرفاء والحكماء والفلاسفة، عاجزون، في أفكارهم وعقولهم، عن الوصول إلى نقطة متناهية في الصغر من كمالاته. فمعنى «المستضعف» أنْ ليس بمقدور أحدٍ الوصول إليه على الإطلاق،

---

(١) سورة المائدة، آية ٥٥.

(٢) الضمير في الفعل «نريد».

(٣) ورد هذا المعنى في حق الإمام الحسين عليه السلام، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... بأبي المستضعف الغريب»، الفروع من الكافي للكليني ج٤ ص١٤٧، بحار الأنوار ج٤٥ ص٩٥.

حيث إنّ كل موزاين العالم قاصرة عن قياسه ووزنه. وبالتالي، يحتلّ إمام الزمان عليه السلام الصّدارة بين مستضعفي عالم الوجود.

معنى الوارث

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ إنه القادر والوارث، ولكن الله «وارث» أيضاً. فما معنى «الوارث»؟ هل معناه أنه يرث أموال كل من يموت؟ «السلام على وارث آدم صفوة الله، السلام على وارث نوح نجيّ الله، السلام على وارث إبراهيم خليل الله، السلام على وارث موسى كليم الله، السلام على وارث عيسى روح الله، السلام على وارث محمّد حبيب الله». إنّ الحسين عليه السلام وارث مثلما أنّ الله وارث، من دون أية زيادة أو نقصان[1]. ذلك لأن «الوارث» صفة والصفة لا تنطبق على ذات الله[2]، فالحق لا يقاس به أيّ موجود، حتى وإن كان خاتم الأنبياء أو عليّ المرتضى أو صاحب الزمان أو أحد الأئمة عليهم السلام. أما في ما يتعلق بالصفة، فالحسين وراث تماماً كما أن الحق وارث.

الوارث هو نفسه يعطي الآخرين، فالله وارث يعني أنه يعطي الآخرين من نفسه. والحسين وارث يعني أنه يعطي آدم وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام من نفسه. وكذلك فإنّ إمام الزمان

---

(١) لأنه ظل الله، وظلُ المطلقِ مطلقٌ.

(٢) لأن ذات الله منزهة عن كل صفة، وهذه الحقيقة الغيبية لا تنظر نظر لطف ولا قهر ولا تتوجه توجه رحمة أو غضب. وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه»، نهج البلاغة.

وبقية أئمة الهدى عليهم السلام هم الوارثون بجعْلٍ من الله، وهي الوارثية نفسها التي يُفهم معناها في الحق. «السلام على وارث آدم صفوة الله»[١]، فهذه الوراثة ليست هي الوراثة العرفيّة بلْ هي نفس وراثة الله تعالى للخلق كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٢]، فإنّ الوارث أحد أسماء الله تعالى، والوارث هو الذي يخرج الإنسان عن الفردانية، والشفاعة بنفس المعنى، والصلوات على محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله هي بنفس معنى الشفاعة، ومن هنا كلّ من يقطع الطريق بالصلوات يصل إلى الشفاعة، بل هي عين تحصيل الشفاعة، وكلّ من يفهم معنى وارث، يصل إلى إدراك معنى الشفاعة، فإنّ الله هو الوارث. «السلام على وارث آدم صفوة الله»[٣]؛ هنا وارث آدم بمعنى أنّ آدم لمْ يبق فرداً وحده، فإنّ الحقّ تعالى يريد أنْ يعرّف شخصيّة آدم عليه السلام، فلو لم يرث سيدُ الشهداء آدمَ لما بقي لآدم وجود ولرُفع من البين. «السلام على وارث نوح نبي الله»[٤]؛ ليس معناه أنّ الحسين عليه السلام قد استفاد من نوح، بل المقصود أنّه لوْ لمْ يكن الحسين عليه السلام لما كان لهذا الموجود ـ وهو نوح ـ وجودٌ، فحيثيّة نوح هي في حقيقتها لصاحب نوح وهو سيّد الشهداء وارث نوح. إنّ الله وارث من في السموات ومن في الأرض، والذي يشير إلى هذه الوراثة المطلقة هم الأربعة

---

(١) زيارة وارث، مفاتيح الجنان.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٨٩.

(٣) زيارة وارث، مفاتيح الجنان.

(٤) المصدر السابق.

عشر نوراً، وبالأخص الإمام الحسين عليه السلام. «أشهد أن دمك سكن في الخلد واقشعرت له أظلة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع»[١]، فقد كانت هذه القشعريرة من كلّ الموجودات، ممّا دون العرش، وبكاء كلّ هذه الموجودات لأجل أنّ الحسين عليه السلام هو وارث كلّ هذه الموجودات على الإطلاق، وهي نفس وراثة الحقّ تعالى.

قلب المؤمن هو بيت الله

إذاً، إمام الزمان هو الوارث وصاحب الحقيقة. وينبغي على كلّ باحث عن التوحيد أن يصل إلى أحد الموحّدين. ولكن عليه أن يعرف من يتّبع، إذ ينبغي أن يعثر على الباحث عن الله ومريده، ومَن تفوح منه الرائحة الإلهية ويصطبغ بالصّبغة الإلهية.

ولهذا السبب، يذهب الإنسان إلى المسجد، أملاً أن تكون قدمُ أحدِ مريدي الله قد وطأت ذلك المكان، ومن أجل هذه الغاية، وُجدت المساجد. ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[٢] واسم الله هو محمّد وآل محمّد[٣] عليهم السلام.

ولا يقال لذلك البيت الذي يُنادى فيه: «يا الله يا رحمن يا

---

(١) الكافي الكليني، ج٤ ص٥٧٦.

(٢) سورة النور، آية ٣٦.

(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام: نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا. الكافي ج١ ص١٤٤، باب النوادر.

رحيم يا كبير يا متعال...» بيت الله. وإنما بيوت الله هي تلك التي يُذكر فيها اسمه وتفوح منها رائحة الحسين وإمام الزمان عليه السلام[١]. فتلك هي البيوت التي يسمّيها الله بيوته. وليس المقصود بالبيت هنا المسجد أو الحسينيّة أو الدير أو الكنيسة أو الصومعة، بل هو القلب. وبالتالي، فإنّ بيت الله ومعبده هو كلّ قلب يَذكُر أمير المؤمنين وإمام الزمان عليه السلام.

توحيد القلوب

وفي كل شيء في العالم، هناك ما هو مزيّف وما هو أصليّ. وتنطبق هذه القاعدة على القلوب أيضاً، فمنها المزيّف ومنها الأصليّ. ولكن، أيّها القلوب المزيّفة؟ يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[٢]، فالقلوب المزيّفة هي تلك التي تنطوي على ازدواجيّة داخلها.

خلال الفترة التي قضيناها في النجف الأشرف، كانت هناك فتاة عربية تُحضر لنا الحليب في كل صباح، وكان لها أختٌ توأم تأتي معها أحياناً. وفي أحد الأيام، طُرِق الباب بطريقة تدلّ على عجلةِ أمرِ طارقِه. وما إنْ فتحنا الباب، حتى رأينا على الأرض زجاجاً مكسوراً دخل بعضه في قدم تلك الفتاة، وجعل دماءها تسيل

---

(١) في حديث للإمام الصادق عليه السلام مع المفضل بن عمر الجعفي: «... قال: يا مفضل، تلك بيوت النور، وقمص الظهور، وألسن العبارة، ومعدن الإشارة...»، الهداية الكبرى لأبي عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي الباب ٤، ص٤٣٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية ٤.

بغزارة. لم يكن لدينا سوى معدّات إسعافية بدائية، فغسلنا قدمها وضمدناها. عند ذلك، أخبرتنا بأن عليها الذهاب لتفقّد أختها التوأم لأنها على ثقة بتعرّضها للأمر نفسه. سألناها متعجّبين: ولكن، كيف عرفتِ، فقد جئت وحدك؟ أجابت: يصيبها كلّ بلاء يصيبني، ويصيبني كلّ بلاء يصيبها. فتعجّبنا من هذه القصة التي لا تُصدَّق. وكنّا نعلم مكان إقامتهما، فقصدتُه بعد ساعة تقريباً وطرقتُ الباب، وإذا بي أرى أن قدمَي الأختين مضمّدتان. وعندما سألتُ عمّا حدث، أخبرتني الفتاة بأن أختها قد جرحت قدمها بالزجاج أيضاً. وهذا هو التوحيد، حيث يكون القلبُ الواحد مئة قلب، والمئة قلب قلباً واحداً. وعندما يتوحّد هذا القلب مع ذاك القلب، يرى الأول كلّ ما يراه الثاني[١].

منشأ فرح الشيعة وحزنهم

«شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعُجنوا بماء ولايتنا» ـ تُبيِّن هذه الرواية سرَّ التوحيد ـ «يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا» أو في رواية أخرى «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»[٢]. وفي تفسير هذه

---

(١) قال الباقر عليه السلام: لمّا أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من صفّين، كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم من الوالد الفان، المقرّ للزّمان، المدبر العمر، المستسلم للدّهر، الذامّ للدنيا، الساكن مساكن الموتى، الظّاعن عنها غداً... إلى أن يقول عليه السلام: **وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي، حتّى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني، وحتّى كأنّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني عن أمر نفسي**، فكتبت إليك كتابي هذا، مُستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت... كشف المحجة ص١٥٧.

(٢) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا. شجرة طوبى ج١ ص٣.

الرواية أن قلوب الشيعة وأرواحهم، وليس أجسادهم، قد خُلقت من تلك الطينة نفسها. أما قلوب أهل البيت عليهم السلام وأرواحهم، فلا يعلم بها وبماهيّة سنخها إلا الله تعالى[1].

إذاً، خُلقت قلوب الشيعة وأرواحهم من فاضل طينة عالم الأجسام الخاصّ بأهل البيت عليهم السلام. ولكنّ تلك الطينة كانت تحتوي على الحجارة أيضاً. ولذلك، فإنّ الشيعيّ الذي يمتلك قلباً رحيماً ويبكي لبكاء الأطفال في الأزقة، يتحلّى، في الوقت عينه، بشجاعةٍ لا مثيل لها حين يواجه أولئك الذي يُكِنّون العداءَ لمواليه ومُحبّيهم ويعاندون ولايتهم. وهكذا، فإنَّ منشأ الفرح والحزن عند الشيعة هو فرح وحزن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. ومن المعلوم أنّ للحزن آثاراً ظاهرية، فالحزن يسبّب البكاء، ولذلك نرى أن الحزين يبكي وتجري دموعه على خدّيه. وخيرُ مصداقٍ على هذا الحزن هو قضيّة الحسين عليه السلام، حيث يبكي المحزونون ويلطمون الرؤوس والصدور.

التصفيق من مظاهر الفرح

وكما أنّ للحزن آثاراً ظاهرية، فللفرح آثار كذلك، «ويفرحون لفرحنا». فعندما يفرح الشيعيّ بعشق أهل البيت عليهم السلام، تراه يضحك

---

(١) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا. الكافي ج١ ص ٣٩٠.

ويصفّق. ومن المصاديق على ذلك، احتفال الشيعة وتصفيقهم فرحاً بذكرى ولادة أوّل نسخة لعالم الوجود، الحجّة بن الحسن عليه السلام. ولكن، ثمّة من يجد في التصفيق إشكالاً، فكيف يعبّر الفرحان عن فرحه إذاً؟ لا جعَلَنا الله ممّن لا ذوق لديهم، لأنّ انعدام الذوق ينعكس على الكلام، فيخلو من أيّ طعمٍ أو رائحة. هل استقامت كل الأعمال التي أوصى بها الدين وبقي التصفيق هو العائق أمام تطبيق الإسلام؟

يقول الله عزّ وجل: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[1]، تبيّن هذه الآية كيفية صلاة الناس حول الكعبة قبل مجيء الإسلام. ولكنّه عندما جاء، نظّم الصلاة وصوّبها، فجعلها مؤلّفة من قيام وركوع وسجود وقنوت. كما نظم الإسلام شؤون الحياة بأسرها، فنُظِّمت مسألة التصفيق واستندت إلى قواعد.

والآن، باتت علامات ظهور صاحب العصر والزمان عليه السلام كثيرة للغاية، حيث تفوح رائحتُها من كل شيء نراه من حولنا. فكيف سيعبّر الناس عن فرحتهم عندما يظهر الإمام ويرونه؟ قد نقف ونصفّق لا شعورياً، إذا كنّا جالسين، ونصرخ وننادي: ظهر الإمام! فهل سيصرخ إمام الزمان عليه السلام في وجوهنا قائلاً: لا تصفقوا! إخجلوا من أنفسكم!»؟ بالطبع لن يفعل ذلك.

وحين يظهر الإمام عليه السلام، يرتفع صوتُه بين الأرض والسماء ويسمعه العالم أجمع. وهناك من يقول بأنّ الإمام سيتحدّث عبر

(١) سورة الأنفال، آية ٣٥.

التلفاز والراديو وهذا ما سيجعل صوته مسموعاً في السماء والأرض. غير أنّ هذا الكلام غير صحيح، لأنّ ارتفاع صوته بين السماء والأرض سيكون معجزة وبياناً على قدرته، فالكل سيسمع صوته ويرى شخْصَه وسط السماء. وفي يوم ظهور هذا الموجود الغائب، منذ ألف ومئة سنة ونيف، يوجّه خطاباً إلى العالم يقول فيه: يا أهل العالم، أصغوا إليّ، أريد، وقبل كل شيء، أن آخذ بثأر دماء جدي أبي عبدالله الحسين[١]، وبعدها أنتقل إلى المهمّات الأخرى المأمور بتأديتها من قبل الله تعالى. ولذلك يقول: يا جدي، لئن لم أكن موجوداً في يوم عاشوراء لأقدّم العون لك فـ«لأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»[٢].

(١) إن الإمام إذا خرج ﷺ كان له خمسة نداءات عند البيت الحرام: ألا يا أهل العالم أنا الإمام القائم، ألا يا أهل العالم أنا الصمصام المنتقم، ألا يا أهل العالم إن جدي الحسين قتلوه عطشانا، ألا يا أهل العالم إن جدي الحسين طرحوه عريانا، ألا يا أهل العالم إن جدي الحسين سحقوه عدوانا، إلزام الناصب ج٢ ص٢٨٢.

(٢) «... فَلَئِنْ أَخَّرَتْنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ المَقْدُورُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِباً، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ العَدَاوَةَ مُناصِباً، فَلأَنْدُبَنَّكَ صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَلأَبْكِيَنَّ لَكَ بَدَلَ الدُّمُوعِ دَماً...»، زيارة الناحية المقدسة، مصباح الزائر وفرحة الغري.

الوَلاية أساس الدين

قال الإمام الصادق عليه السلام: «بُنِيَ الإسلامُ على خمس، على الصوم والصلاة والحج والزكاة»[1] أما الأساس الخامس فهو «الولاية». يتفق الجميع على هذا المطلب ولا يحيدون عنه، حتى لو اختلف ترتيب الكلمات أحياناً، فقد قيل في بعض المواضع: «على الصوم والصلاة» وفي أماكن أخرى «على الصلاة والصوم»، كما قيل «على الحجّ والزكاة» وفي أماكن أخرى «على الزكاة والحجّ» ولكن لا مشكلة في ذلك. ولكن لمَ أتى العامل الخامس، وهو الولاية، في آخر الحديث؟ ألِأَنه ليس أصلاً؟ لا بل إنّ أصل التوحيد يقوم على الولاية، ولقد أتت في آخر الحديث لأنها رديفة

---

(١) حدثني الحسين بن محمد الأشعري، عن معلى بن محمد الزيادي، عن الحسن بن علي الوشاء قال: حدثنا أبان بن عثمان، عن فضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم (الصيام) والحج والولاية ولم يناد بشئ كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه، يعني الولاية. الكافي، ج٢ ص ١٨.

للأسس الأربعة السابقة التي هي الصلاة والصوم والزكاة والحج. وينبغي الإصغاء إلى الكلام الآتي جيداً، وخصوصاً من قِبَل الشباب الذين إنْ لم يُنصتوا لهذا الحديث ولم يفهموه ويعتقدوا به ويعملوا بموجبه كما ينبغي، سيقعون في الكثير من الإشكالات عندما يكبرون.

الفرق بين الوِلاية والوَلاية

هل الصّلاة أفضل أم الوَلاية[١]؟ تشير كلّ الأدلة إلى أنّ الولاية أفضل من الصلاة. هل الصوم أفضل أم الولاية؟ تثبت الأدلة جميعها أنّ الولاية أفضل. حسناً، هل الحج والزكاة أفضل أم الولاية؟ الولاية هي الأفضل. في البداية، ينبغي التفريق بين «الوِلاية» و«الوَلاية». ماذا يقول الحديث؟ «وِلاية عليّ بن أبي طالب حصني» أم «وَلاية عليّ بن أبي طالب حصني»[٢]؟ ثمة اختلاف كبير بين فتح الواو وكسرها. وتأتي «الوِلاية»، بمعنى تولّي الحكومة والسلطنة والإمارة. ولذلك، فإنّه من الصحيح القول: «وِلاية الفقيه» ولكن ليس «وَلاية الفقية»، لأنّ هذه الوِلاية

---

(١) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، سورة الكهف، آية ٤٤.

(٢) عن علي بن موسى الرضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب ﷺ، عن النبي ﷺ، عن جبرائيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله عز وجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. جامع الأخبار ص١٥، أمالي الصدوق ص١٤٢، العيون ص٢٧٦، معاني الأخبار ص٣٧١.

تستند إلى الحكومة والإمارة وإصدار الأحكام والفتاوى. أمّا الوَلاية فلا تصحّ هنا لأنها محصورة بالأربعة عشر معصوماً عليهم السلام. والوَلاية هي منصب إلهيّ لا دخل فيه لأحد بعالم الوجود في حين تخضع الوِلاية لانتخاب الناس واختيارهم، حيث يحقّ لهم إعطاء الرأي وإبداء وجهات النظر والنفي والإثبات وكل ما شابه ذلك، كبقية المطالب التي يكون للناس دور فيها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٢]. غير أنّ كل تلك المسائل لا تسري على الوَلاية، فهي إعطاءٌ من الحق[٣].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلايتي ظاهري وباطني غيبٌ لا يُدرك»[٤]. يتّفق الجميع على معنى الوِلاية، فحتى السّنّة يوافقون عليه ويقبلون بنصّ: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾[٥]، بما يعنيه من أصحاب وِلاية الأمر والحكم، إلا أنّهم ينكرون وَلاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فما معنى الوَلاية؟

أقسام الوَلاية

تنقسم الوَلاية إلى قسمين: الوَلاية التكوينية والوَلاية التشريعية.

---

(١) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٣) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، سورة الكهف، آية ٤٤.

(٤) قال علي عليه السلام: «ظاهري ولاية ووصاية، وباطني غيب لا يدرك»، مشارق أنوار اليقين ص٧٠.

(٥) سورة النساء، آية ٥٩.

وبموجب الوَلاية التكوينية، يُعطى أحد الموجودات الأمر والحكم في عالم الوجود من قبل الله تعالى، مع وجوب إبقاء هذه العبارة في الذهن وعدم نسيانها أبداً، حيث لا يتمّ هذا الأمر على نحوٍ استقلاليّ. وبناءً عليه، يمنح ذلك الموجود النورَ للشمس والقمر، وتدور الكواكب والنجوم ويجري الماء والهواء وكل ما يتصل بالحياة بإذنٍ منه. فلو لم يكن موجوداً، لَمَا كان هناك لا أرض ولا سماء ولا مَلك ولا ماء ولا فلك يدور ولا بحر يجري. فهل لو لم تكن وِلاية أولي الأمر موجودة، لَمَا كان هناك لا شمس ولا هواء ولا قمر؟ بل لكانت موجودة بالتأكيد، لأنّ الوِلاية تختلف عن الوَلاية.

وينقسم الناس بين مَن يقبل بالوِلاية ومَن يقبل بالوَلاية في حين أنّ هناك من يقبل بالإثنين معاً. ونحن من الصّنف الأخير، حيث نقبل بالوِلاية التي تفترض تقليد المجتهد الجامع للشرائط والفقيه صاحب الرسالة، وهي وِلاية الفقيه، كما نقبل بالوَلاية التي تقول بأنّ أحداً في العالم لا يؤدي دور مُخرج الخلقة سوى أمير المؤمنين وأبناءه المعصومين عليهم السلام. ويجب إفهام هذه المسألة للناس، فلماذا تُذاع كل الأخبار في الصحف والراديو والتلفزيون في حين تبقى هذه القضية بعيدةً عن التداول؟ لأن الناس لا يعلمون بأمرها. ولذلك، ينبغي إطلاع الناس على هذا الأصل والجذر.

الوَلاية تستبطن العبادات

وفي تتمّة الرواية، بعد أن يقول الإمام عليه السلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس، على الصوم والصلاة والحجّ والزكاة والولاية»، يقول: «وما

نوديَ بشيء مثلما نوديَ بالولاية». مرة جديدة، لِمَ أتت الولاية في آخر الحديث؟ يتطابق الجواب على هذا السؤال مع الجواب الذي يُردّ به على الأسئلة التي تطرح حول خاتميّة الرسول الأكرم ﷺ. أليس النبيّ الأكرم ﷺ هو أشرف الأنبياء باعتقاد الجميع؟

ومن المفيد الإشارة إلى أنّ الشيعة يتميّزون بالصّلاة على محمّد وآل محمّد ﷺ، فمن دونها لا خاصيّة لديهم. وقد اتخذت فريضة الصّلاة اسمها من تلك الصلوات، فأصبحت الواجب الأهمّ والأعظم والأسطع نوراً من بين كل الواجبات.

إذاً، لا تخضع الوَلاية لاختيار أحدٍ من الناس، سواء من الناحية التكوينية أو التشريعية. فالأمر الصادر عن رسول الله ﷺ بوجوب الصّلاة والصوم يختلف عن الأمر نفسه الصادر عن المجتهد الجامع للشرائط، لأنّ الأمر الأول صدَرَ بموجب الوَلاية، أما الثاني فبموجب الوِلاية. وهنا، يتبيّن مصدر التفاوت بين الطريقين. كما يُشار إلى أنه يصحّ لتابع الوَلاية أن يُقال له عبد، أما تابع الوِلاية فهو مقلّد وليس بعبد. ومجرّد أن يلحظ الإمام إنساناً ما بطرف عينه، يمنحه الأنس لسنواتٍ من الزمن، رغم كون ذلك لا يعدو جرعة صغيرة من العشق. فالوَلاية هي مُخرِجة الخلقة، تكويناً، ومنها نال الأنبياء كل ما نالوه.

أثر الوَلاية على الأنبياء

إن صاحب الوَلاية هو مصدر كل ما حظي به إبراهيم الخليل ﷺ، فهو لم يحترق بالنار التي رماه فيها النمرود لأنه تمتّع

بوَلاية ـ لا وِلاية ـ قوية. نعم، إننا محبّون ولكن الشيعة أهل الوَلاية قلائل. ويصدّق القرآن واقع إبراهيم الخليل عليه السلام الذي كان عليه، حيث يقول: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾[1]، أي أن إبراهيم كان واحداً من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فقد عرف أن لديه أستاذاً يعلّمه. ومن يعرف قدر أستاذه، يكون من أهل الوَلاية. بينما لا يكون من أهلها، ذلك الذي لا يعرف قدر الأستاذ. كما أنّ عليه أن يعرف ذلك القدر بشكل كليّ وليس جزئيّ إذا أراد فهم الوَلاية وإدراكها بكليّتها لا بجزئيّتها. أما من يضيّع حق أستاذه[2]، فلا

---

(١) سورة الصافات، آية ٨٣.

(٢) قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام إن رجلاً جاء إلى علي بن الحسين عليه السلام برجل يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف، فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه فكأن نفسه لم تطب بذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام للمدعي للدم الولي المستحق للقصاص: إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلاً فهب له هذه الجناية واغفر له هذا الذنب. قال: يا ابن رسول الله له عليّ حق ولكن لم يبلغ أن أعفو له عن قتل والدي. قال: فتريد ماذا؟ قال: أريد القود، فإن أراد لحقه على أن أصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: فماذا حقه عليك؟ قال: يا ابن رسول الله لقنني توحيد الله ونبوة محمد رسول الله، وإمامة عليّ والائمة عليهم السلام، فقال علي بن الحسين عليه السلام: فهذا لا يفي بدم أبيك؟ بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام. إن قتلوا، فإنه لا يفي بدمائهم شيء أن يقنع منه بالدية. قال: بلى، قال علي بن الحسين للقاتل: أفتجعل لي ثواب تلقينك له حتى أبذل لك الدية فتنجو بها من القتل؟ قال: يا ابن رسول الله أنا محتاج إليها، وأنت مستغنٍ عنها فإن ذنوبي عظيمة، وذنبي إلى هذا المقتول أيضاً بيني وبينه لا بيني وبين وليه هذا، قال علي بن الحسين عليه السلام: فتستسلم للقتل أحب إليك من نزولك عن هذا التلقين؟ قال: بلى يا ابن رسول الله. فقال علي بن الحسين لولي المقتول: يا عبدالله قابل بين ذنب هذا إليك وبين تطوله=

يرى الخير ولا الرّشد في حياته أبداً ولا يتمكّن من تحقيق أيّ هدف يسعى إليه. وكذلك هو الحال مع من يضيّع حق مولاه وحق أبيه وأمه. فمن يفرّط في حق مولاه وسيّده، يفرّط في حق أستاذه.

حقّ أستاذ الوَلاية

قال الأستاذ، صاحب المقام الشامخ، أمير المؤمنين عليه السلام: «من علّمني حرفاً فقد صيّرني عبداً»[1]. ولا شكّ في أنّ هذا القول تعجيزيّ، فمن ذا الذي يستطيع تعليم أمير المؤمنين عليه السلام وهو مولى الموالي؟ وإنّما يدلّ ذلك على عظمة المطلب. وفي باب الوَلاية على وجه التحديد، إذا قام أستاذٌ بتعليم الحقيقة لأحد الأفراد ثم أضاع المتعلّم حقَّ أستاذه، فلن يرى من شبابه خيراً، كما لن يرى خيراً من عجزه، إذا وصل إلى تلك المرحلة. وثمّة روايات في

=عليك، قتل أباك حرمه لذة الدنيا وحرمك التمتع به فيها، على أنك إن صبرت وسلمت فرفيقك أبوك في الجنان، ولقنك الإيمان فأوجب لك به جنة الله الدائمة وأنقذك من عذابه الدائم، فإحسانه إليك أضعاف أضعاف جنايته عليه، فإما أن تعفو عنه جزاءاً على إحسانه إليك لأحدثكما بحديث من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله خير لك من الدنيا بما فيها، وإما أن تأبى أن تعفو عنه حتى أبذل لك الدية لتصالحه عليها، ثم أخبرته بالحديث دونك فلما يفوتك من ذلك الحديث خير من الدنيا بما فيها لو اعتبرت به. فقال الفتى: يا ابن رسول الله، قد عفوت عنه بلا دية ولا شيء إلا ابتغاء وجه الله ولمسألتك في أمره، فحدثنا يا ابن رسول الله بالحديث. قال علي بن الحسين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما بُعِثَ إلى الناس كافة بالحق بشيراً ونذيراً إلى آخر ما سيأتي في أبواب معجزاته صلى الله عليه وآله. بحار الأنوار، ج٧ ص١٢ باب٨.

(١) جامع السعادات للنراقي ج٣ ص١١٢. ولذلك قال علي عليه السلام: «...أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله»، الكافي ج١ ص٨٩.

هذا الشأن، فإذا أضاع الإنسان حقَّ أستاذٍ يعلمه معالم دينه ومعارفه، التي يرجع أصلها إلى الوَلاية، فإنه يموت شاباً. وهناك الكثير من الشبّان الذين يموتون في سِنِيِّ شبابهم، ولكنّ الناس يُعزون سبب ذلك إلى السّكتات القلبيّة.

الوَلاية عطاءٌ من الحق تعالى

إذاً، الولاية التكوينية هي عطاءٌ من الحق، ولا دخل لأحد فيها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام «كنت وصيّاً وآدم بين الماء والطين»[١]، أي كان وصيّاً وصاحب وَلاية، في الوقت الذي لم تكن طينة آدم قد عُجنت بعد، حيث كان لا يزال في طور النشأة بين الماء والطين.

وتجدر الإشارة إلى أنّ أوّل شجرة غرسها الله تعالى بيده في أرض عالم الوجود هي شجرة العنب: «أوّل شجرة غرسها الله بيده الكرم»[٢]. ولذلك، يستفيد الشعراء والعرفاء كثيراً من هذه الفاكهة

---

(١) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٤ ص١٢٤.

(٢) عن معاوية بن مرة عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة». تفسير الثعلبي ج ٥ ص ٢٨٨. وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (سورة الرعد، آية ٢٩)، قام المقداد بن الأسود الكندي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله وما طوبى؟ قال صلى الله عليه وآله: «يا مقداد شجرة في الجنة لو يسير الراكب الجواد لسار في ظلها مائة عام قبل أن يقطعها ورقها ويسرها برود خضر، وزهرها رياض صفر، وأفناؤها سندس واستبرق وثمرها حلل خضر، وصمغها زنجبيل=

وشرابها في قصائدهم. كما يذكر القرآن ذلك الشراب، حيث يقول: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[١] و﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٢] و﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾[٣] و﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾[٤]. فطبع المؤمن بارد، كشراب الكافور، ولاذع في الوقت نفسه، كشراب الزنجبيل، في أمر الولاية. وينبغي أن لا يطغى أحدهما على الآخر وإلا خرج الإنسان من طريق السلوك إلى الله. فالله هو القابض والباسط، ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، ولن نبحث في هذين الجانبين لأنهما خاصّين بمطلب التوحيد.

=وعسل وبطحاؤها ياقوت وزمرد أخضر، وترابها مسك وعنبر وكافور أصفر وحشيشها زعفران يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها السلسبيل والرحيق والمعين وظلها مجلس من مجالس شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. تفسير سعد السعود لابن طاووس ص ١٠٩. وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تسمّوا العنب الكرم فإنّ المؤمن هو الكرم». علل الشرايع ج٢ ص٢٧٠.

(١) سورة الإنسان، آية ٢١.

(٢) السورة نفسها، آية ٥.

(٣) السورة نفسها، آية ٤.

(٤) سورة المطففين، آية ٢٥.

زيارة الله فوق عرشه

قال سيّدنا ومولانا الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «من زار قبر أبي عبدالله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»[1]. لا شكّ في أنّ هذا التوصيف هو الأرفع والأسمى، بحيث لم تحصل أية حقيقة في العالم على توصيف يماثله أو يفوقه، وهو بيانٌ للفت أنظار كل عالم الوجود إلى تلك الحقيقة.

وفي مجال العبادات، تفصل بين الإنسان ومقبوليّة عباداته وصحّتها مسافةٌ طويلة. فيتعيّن عليه قطعها حتى يصادق الله تعالى على أعماله من صلاة وصوم وإنفاق وحجّ وما إلى ذلك. أما في زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، فيتمكّن الزائر من عبور كل تلك الأودية، ويصل إلى درجة يكون فيها كمن يزور الله تعالى. ليس الحق قابلاً

---

(١) كامل الزيارات ص٢٧٩، ثواب الأعمال ص٨٥، عنه البحار ج٩٨ ص٧٠، تهذيب الأحكام ج٦ ص٤٦، مناقب آشوب ج٣ ص٢٧٢، جامع الأخبار ص٢٥، المزار الكبير ص٣٢٥، وسائل الشيعة ج١٠ ص٣١٩، مستدرك الوسائل ج١٠ ص٢٥٠.

للرؤية أو الحسّ أو اللمس، ولكن إذا ما تيسّرت زيارته، فلا تكون إلا بزيارة الحسين عليه السلام. وفي إحدى الروايات، يُسأل الإمام الصادق عليه السلام: ماذا عن بقيّة ذواتكم المقدسة؟ وما حكم زيارة قبرٍ آخر من قبوركم أهل البيت؟ فيجيب الإمام عليه السلام: من زار قبر أحدٍ منّا أهل البيت كان كمن زار رسول الله[١] صلى الله عليه وآله.

الشفاء في تربة الإمام الحسين عليه السلام

لا يمكن الوصول إلى درجة سيّد الشهداء عليه السلام، فثمّة مسائل تخصّه وحده دون غيره من الأئمة الأطهار عليهم السلام. ويُنقل عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام حديثٌ يتكلّم فيه عن خاصيّة الشفاء التي وضعها الله تعالى في تربة أبي عبدالله الحسين عليه السلام. ولكنه يذكر شروطاً للاستفادة من تلك التربة، فيبيّن كيفيّة حملها وتلاوة سورة القدر عليها ونقلها من مكانٍ لآخر، بحيث يجب أن لا توضع بين بقيّة أمتعة المسافر. أما عدم الاعتناء بهذه التربة ومقامها الشامخ، فيوجب فقدان أثرها[٢]. وإلّا فإنّ لهذه التربة آثاراً تحدّثت عنها

---

(١) روى الكليني بسنده عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله. وسائل الشيعة ج ١٠، باب ٢.

(٢) حدَّثني محمّد بن الحسن بن عليّ بن مَهزيار، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن مَهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عبدالله بن عبدالرَّحمن الأصمّ قال: حدّثنا أبو عمرو شيخ من أهل الكوفة، عن أبي حمزة الثُّماليّ، عن أبي عبدالله عليه السلام «قال: كنت بمكّة. وذكر في حديثه، قلت: جُعِلتُ فِداك إنّي رأيت أصحابنا يأخذون من طين الحائر ليستشفوا به؛ هل في ذلك شَيءٌ ممّا يقولون من الشِّفاء؟ قال: قال: يُستَشفى بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جَدّي رَسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك طِين قبر الحسن=

الكثير من الروايات إلى حدّ أنه قيل ما مضمونه: لا تتعجّبوا، إنْ وُضعَت تربة الحسين عليه السلام في فم الميت، فعاد إلى الحياة. وتُعادل

=وعليٌ ومحمّد، فَخُذْ منها فإنّها شِفاءٌ مِن كلّ سُقْم، وجُنّةٌ ممّا يخاف ولا يَعدِلُها شيءٌ من الأشياء الّتي يستشفى بها إلاّ الدُّعاء، وإنّما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلّة اليقين لِمَن يُعالِج بها، فأمّا مَن أيقنَ أنّها له شِفاء إذا يعالِج بها كَفَتْه بإذن الله من غَيرها ممّا يتعالِج به، ويفسدها الشّياطين والجنُّ من أهل الكفر مَن هم يتمسّحون بها، وما تمرُّ بشيء إلاّ شمّها، وأمّا الشّياطين وكفّار الجنّ فإنّهم يَحسدون بني آدم عليها فيتمسّحون بها فيذهب عامّة طِيبها، ولا يُخرَجُ الطّين مِنَ الحائر إلاّ وقد استعدّ له ما لا يحصى منهم وأنّه لفي يد صاحبها، وهم يتمسّحون بها، ولا يقدرون مع الملائكة أن يدخلوا الحائِر ولو كان مِنَ التُّربة شيءٌ يَسلمُ ما عولِج به أحدٌ إلاّ بَرِىء مِن ساعته، فإذا أخذتَها فَاكتُمْها، وأكثِرْ عليها من ذكر الله تعالى، وقد بلغني أنَّ بعضَ مَن يأخذ مِن التُّربة شيئاً يستخفُّ به حتّى أنَّ بعضهم ليطرحها في مِخْلاة الإبل والبَغل والحِمار أو في وِعاءِ الطّعام وما يمسح به الأيدي من الطّعام، والخُرَج والجَوالق! فكيف يستشفي به مَن هذا حاله عنده؟ ولكنَّ القلب الّذي ليس فيه [القلقينُ من المُستَخفّ بما فيه صلاحه يفسد عليه عَمله. كامل الزيارات، باب٩٣. ومن تلك الروايات ما روى الشيخ الطوسي من أنّ رجلًا سأل الصادق عليه السلام، فقال: إنّي سمعتك تقول: إنّ تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة وأنّها لا تمرّ بداءٍ إلّا هضمته، فقال: «قد قلت ذلك فما بالك؟» قلت: إنّي تناولتها فما انتفعت بها، قال عليه السلام: «أما أنّ لها دعاءً، فمن تناولها ولم يدع به واستعملها لم يكد ينتفع بها»، قال: فقال له: ما يقول إذا تناولها؟ قال: «تقبّلها قبل كلّ شيء وتضعها على عينيك، ولا تناول منها أكثر من حمّصة، فإنّ من تناول منها أكثر فكأنّما أكل من لحومنا ودمائنا، فإذا تناولت فقل: اللهمّ إنّي أسألك بحقّ الملك الذي قبضها وبحقّ الملك الذي خزنها، وأسألك بحقّ الوصيّ الذي حلّ فيها أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تجعلها لي شفاء من كلّ داء وأماناً من كلّ خوف وحفظاً من كلّ سوء، فإذا قلت ذلك فاشددها في شيء واقرأ عليها «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، فإنّ الدعاء الذي تقدّم لأخذها هو الاستئذان عليها، وقراءة إنّا أنزلناه ختمها». مصباح المتهجّد، ج١ ص٦٧٧، الوسائل، ج٢٤ ص٢٢٩.

تربة الحسين عليه السلام في هذا البُعد الحقيقة التي يذكرها القرآن الكريم، حيث يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[١]. وبالتالي، تفعل تربة كربلاء نفس فعل القرآن من الناحية الباطنية وليس اللفظية، إذ ليس بمجرد قراءة القرآن يُشفى الإنسان، بل إنّ عليه التعرف إلى حقيقته حتى يُمنح الشفاء. وكذلك هو الحال مع تربة كربلاء، «والشفاء في تربته»[٢].

خاصيّة زيارة سيّد الشهداء عليه السلام

وفي باب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، نُقل في الروايات أنّ من لم يتشرّف بزيارة سيّد الشهداء عليه السلام وكان من المخوّلين لدخول الجنّة عند وفاته، لا يكون إلّا ضيفاً عند أهلها. فلا يحظى بأيّ مقام خاصٍّ في الجنّة، حتى وإنْ كان يتمتع بأعلى درجات الإيمان[٣]. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: من أتى قبر أبي عبدالله عليه السلام، فقد وَصَل رسول الله صلى الله عليه وآله ووصَلَنا، وحَرُمت

(١) سورة الإسراء، آية ٨٢.

(٢) وردت العبارة في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على من جعل الله الشفاء في تربته»، روى الزيارة الشيخ المفيد في مزاره، والشيخ ابن المشهدي في المزار الكبير، والمجلسي في بحاره، والفيض الكاشاني في كتابه الصحيفة المهدوية.

(٣) قال الصادق عليه السلام: من لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام وهو يزعم أنه لنا شيعة حتى يموت فليس هو لنا بشيعة، وإن كان من أهل الجنة فهو من ضيفان أهل الجنة. كامل الزيارات ص١٩٣. وعن الإمام الصادق عليه السلام: مَن لم يأتِ قبر الحسين عليه السلام حتى يموت كان منتقص الإيمان، منتقص الدين، إن أدخل الجنة كان دون المؤمنين فيها. وسائل الشيعة ج١٤ ص٤٣٠.

غيبته...»[١]. وما كلّ ذلك إلّا من بركات الوجود المقدّس لعزيز الله ومحبوبه، الإمام الحسين عليه السلام. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: والله، إنّ الله يحبّ من يحبّ حسيناً[٢]، حيث تدخل الآية الكريمة: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣] في باب حبّ الحسين عليه السلام أيضاً.

ويُنقل أنه قصد رجل الإمام الصادق عليه السلام يريد سؤاله عن أحكام الطهارة الواجب اتباعها، حيث تغطي الثلوج الطرقات المؤدية إلى كربلاء. فأجابه الإمام عليه السلام: لا تسأل عمّا يتعلق بزيارة الحسين عليه السلام، فهذا الطريق لا تحكمه الآداب، ولْتصِلْ إلى هناك كيفما وصلت. ولذلك، تشتمل كل الأعمال والترتيبات على آداب وشروط معيّنة، إلا زيارة الحسين عليه السلام فلا آداب لها ولا شروط.

جاذبيّة كربلاء

وتمتاز كربلاء بدرجة جذبٍ قوية وشديدة للغاية إلى حدّ أنّ الإنسان يقف عاجزاً عن فعل أيّ شيء سوى الشعور بالحيرة حين يتشرف بزيارة الحسين عليه السلام. وما بكاء الزائر لدى دخوله إلى صحن سيّد الشهداء عليه السلام، إلّا بسبب العادة التي اعتاد عليها. فقوة الجذب والسيطرة الولائية لسيّد الشهداء عليه السلام، تضع الإنسان في

---

(١) كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه، ص٢٤٥.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً». بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧١.

(٣) سورة آل عمران، آية ٣١.

حيرة من أمره، ولا يدري ما يفعل، فلا يصدر عنه أيّ فعل بالنتيجة. وفي تلك اللحظات، يتصوّر المحبّون بأنهم ارتكبوا أعظم الذنوب، فاستحقوا التعرّض لتلك الحالة، حيث تجفّ الدموع تماماً في أعينهم. وكما قلنا، لا يكون بكاءُ الإنسان هناك إلا بسبب عادته أو غربته أو ذهابه للزيارة وحيداً. أما إذا كان ضمن جماعة من الزائرين، فلا تجري الدموع من عينيه. غير أنه بعدما يرجع الزائر، يعود إليه الشوق إلى كربلاء والأمل بزيارتها.

أرض كربلاء وتجلياتها

وبحسب العديد من الروايات، فإنّ البقعة المباركة والوادي الأيمن المذكورين في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، يقعان في كربلاء[2]. فهناك حصل التجلي التوحيدي لموسى عليه السلام وسمع من الشجرة الخضراء صوتاً يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾. وكذلك وقعت الكثير من التجليات في كربلاء. فكربلاء هي أرفع من أن تكون مجرد بقعة أرض تحظى بشرف يفوق بقيّة بقاع

---

(١) سورة القصص، آية ٣٠.

(٢) قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «شاطئُ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفراتُ، والبقعة المباركة هي كربلاء»، التهذيب للطوسي، باب فضل الكوفة، ج ٦ ص٣٨. وسُئل الإمام الباقر عليه السلام عن خصوصية أرض كربلاء، فقال عليه السلام: الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران، وناجى نوحاً فيها، وهي أكرم أرض الله عليه، ولولا ذلك ما استودع الله فيها أولياءه وأبناء نبيّه، فزوروا قبورنا بالغاضرية. بشارة الزائرين ص٢٦.

الأرض. إننا نتخيّل بأنّ كربلاء مجرّد أرض وعاشوراء مجرّد زمان، شهِدَا على أحداث تلك الواقعة، أما الحقيقة فهي أنّ كربلاء وعاشوراء ظاهرتان معنويّتان مثل النبوة والرسالة والإمامة والولاية. وبناءً عليه، ينبغي عدم اعتبار كربلاء مجرد أرض أو وطن. فقد سالت على تراب كربلاء دماء الحسين عليه السلام ـ مخلوق الله الأعزّ ـ وعليه جرت واقعة استشهاده. وبالتالي، تختلف كربلاء عن بقيّة بقاع الأرض، إذ إنها بحدّ ذاتها ظاهرة مهمّة كبقية الظواهر المعنوية في العالم.

أركان الإسلام

قال سيّدنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس: على الصوم والصلاة والحجّ والزكاة والولاية وما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية». إذاً، أركان وأعمدة ودعامات الإسلام خمس. وطبقاً لما بيّناه سابقاً، يختلف معنى الوِلاية عن الوَلاية، كالاختلاف في معنى كلمتيْ «رُبّ» و«رَبّ». فالوِلاية تعني الحكومة والآمريّة، ولذلك يذكر القرآن الكريم أنّ هناك مِن الناس مَن يتولّى الطاغوت، فيقول في آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[1]، وبالتالي، ثمّة من يعمد إلى إخفاء الحقّ على الرغم من معرفته به فيُدلي بشهادة زور. وتعني كلمة «زور» في اللغة الفارسية القوة والغِلظة، في حين تفيد الكلمة في العربية معنى التزوير. ويشبه الفرق بين الوِلاية والوَلاية هذين المعنيين لأنّ القضيّة مشتملة على

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

استخدام القوة والتزوير على حدّ سواء. ولا شكّ أنّ شاهد الزور الذي يُدلي بشهادة مخالفة للحقيقة، يُرمى في أسوأ مكان في جهنم[١].

شهادات الزور بحق عليّ عليه السلام

وتعجّ صحيفة مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام بالبراهين التي أخفاها التاريخ، ومن بين تلك البراهين التي تُبيّن مظلوميته عليه السلام ما يرتبط بشهادات الزور التي صدرت بحقه من قبل مخالفيه. وقد ظلت شهادات الزور قائمة حتى زمان حكومة عمر بن عبدالعزيز الأموي. وعبرها، جرى تضييع حقّ أمير المؤمنين عليه السلام بأسوأ ما تكون عليه أشكال التضييع، حيث قضت الأوامر الشرعية، آنذاك، بالإمعان في تشويه صورة أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المساجد وفي الصلوات والخطب. فكانت تُكال أبشع الشتائم والافتراءات والتّهم، التي تصبّ في خانة شهادات الزور، بحقّ مولانا عليّ عليه السلام، وكل ذلك على مسمعٍ من الإمام الحسن عليه السلام. وقد أمعنوا في تشويه صورته عليه السلام إلى حدّ أنّ بعض النّاس عندما بلغَهم خبرُ استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، سألوا عن مكان استشهاده، فلمّا عرفوا أنه استشهد وهو يصلي في المسجد، تعجّبوا من ذلك وقالوا: أوَعليٌ يصلي؟

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: شاهد الزور لا تزول قدماه حتى تجب له النار. الذنوب الكبيرة ج١ ص٣٢٠. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار. الذنوب الكبيرة ج١ ص٣٢٠.

وليس ما يجري في أيامنا هذه ببعيد عن أحداث تلك الأيام، حيث تنتشر بين الناس الروحية نفسها وتُبثّ الدعايات والشائعات بالأساليب الملتوية عينها. ولولا لطف الله بابن آدم ونصرته له، لَمَا تمكّن أحد من أن يصرف كَيْدَ الشيطان الرجيم عنه. وتنطبق هذه القاعدة على الأنبياء أيضاً.

الوَلاية أساس النبوّة والتوحيد

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب الوِلاية والوَلاية معاً. ولا ضير في إعادة التأكيد على أنّ الوَلاية لا يمكن لأحدٍ غير الله تعالى أن يعيّن صاحبها، فهي لا تخضع للحسابات والمقاييس الإنسانية. والوَلاية هي أساسٌ يفوق النبوّة في أهميّته، إذ إنها أصل وأساس النبوة والتوحيد وغيرهما من المسائل: «وما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية».

حقّ القرآن على النبيّ عيسى عليه السلام

لقد خصّ الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام بمقام النبوة، فنطق وهو رضيع في المهد قائلاً: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[1] كما قال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾[2]. ولكن لمَ تكلّم بهذا الكلام؟ لأنّ عيسى بن مريم تعرّض للشائعات وشهادات الزور أيضاً، وقد ظهرت براءته بفضل القرآن الكريم.

---

(١) سورة مريم، آية ٣٣.

(٢) السورة نفسها، آية ٣٠.

ولذلك، بشّر عيسى ﷺ بنبيّ الإسلام عن طريق الإنجيل الذي ضمّ اسم الرسول الأكرم ﷺ ومجّده، فهو ذلك «المحمود» الذي عبّر عنه إنجيل عيسى كما بقيّة الكتب السماوية. وللإسلام حقٌّ كبير بعنق عيسى بن مريم والدين المسيحيّ، فقبل مجيئه، لم يكن هناك اعتبارٌ لأيّ سند تاريخي. ولكن بنزول القرآن، ظهر السّند التاريخي الأصيل الذي يبرِّئ عيسى النبيّ ووالدته مريم القديسة ﷺ. وبالنتيجة، إكتسب عيسى وأمّه تلك الطهارة والقداسة بفضل القرآن والإسلام.

القرآن ثبّت الوَلاية

وقد ثبّت الإسلام الوَلاية وأيّدها في أوّل سند تاريخي وإلهي أصيل في العالم، وهو القرآن الكريم[1]. وكانت المسيحيّة قد قبلت بذلك من خلال قبول عيسى بن مريم ﷺ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]. فكيف يقول طفلٌ رضيعٌ في المهد: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾وكان لا يزال طفلاً لم يصلِّ ركعة واحدة بعد؟ فأنّى له أن ينال صفة «عبدالله»؟ في الواقع، لا تربط بين صفة «عبدالله» الواردة في الآية الكريمة وبين الأعمال العبادية، كالصلاة والصوم والحج والزكاة، أيّةُ علاقةٍ، وإنّما هي مددٌ من عند صاحب الوَلاية: «وما نودِيَ بشيء مثلما نودي بالولاية». ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾أيّ كتاب؟ ومتى قرأه؟ ﴿وَجَعَلَنِي

(١) ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، سورة الكهف، آية ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٤.

﴿نَبِيًّا﴾، كان مجرّد طفل رضيع، فلم يقل: «أصبحُ نبياً في ما بعد»، ما يعني أنّ الله تعالى قد جعله نبياً مسبقاً. ولكن، لمَ قال عيسى النبيّ: أنا عبدالله؟ وآتاني الكتاب؟ وجعلني نبيّاً؟ ذلك لأنّ «السّلام» قد أحاط به وجعله يمضي في الإسلام. فهو فاطميٌّ نالَ العناية الفاطمية، إذ عندما تنظر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى موجودٍ ما، تُغدق عليه بالعطاء فيفيض وجوده من قبل أن يولد. فقد قال عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1] أي أنّ السلام أحاط به منذ يوم الولادة. وعند الموت أيضاً، ستظلّله يد فاطمة الزهراء عليها السلام وتُشعره بالطمأنينة. وفي يوم القيامة، يوم يُبعث حيّاً، ستحضر العناية الفاطمية مجدداً. فالسلام في القرآن مرتبط ومتعيّن في الصدّيقة الطاهرة عليها السلام. كما أنّ الإسلام من السّلام[2].

إذاً، هكذا يتمّ اختيار النبيّ وقد عرفنا الآن الميزة التي يمتاز بها، فلا دخل للعائلة ولا للعشيرة ولا للصلاة والصوم، وسواها من العبادات، في ذلك. وهل نظر الله تبارك وتعالى في طينة خلقه وعاين أصحاب الأعمال الحميدة والعبادات التامّة في عالم الدنيا، فاختارهم ليكونوا أنبياء وأولياء؟ كلا، ليس الأمر كذلك.

---

(١) سورة مريم، آية ٣٣.

(٢) ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾، سورة القدر، آية ٥. وليلة القدر هي السلام، فعن أبي عبدالله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾، الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها. بحار الأنوار ج ٤٢ ص١٠٥.

فلقد كان عيسى بن مريم ويوسف الصديق وموسى وهود وصالح عليهم السلام أنبياء ولكن ليس بسبب أهليتهم. فهم جُعِلوا أنبياء وصاروا من أصحاب الأهلية بعدما وضعها الله فيهم، وعندها، بات كلّ ما يصدر عنهم خيراً.

لا حقيقة عدا أهل البيت عليهم السلام

إن الوَلاية أكثر إحكاماً من النبوة، إذ كانت الوَلاية والوليّ قبل أن تخلق الموجودات. ولولا الوليّ لما خلقت سماوات ولا شمس ولا هواء، فهو مادة خلقتها وخلقة الوجود أجمع. وأهل البيت عليهم السلام هم شعاع الذات وأسماء الله الحسنى[١] والكلمات التامّة[٢]. فهم الذين قالوا: «سبَّحْنا فسبّحَت الملائكة، قدّسْنا فقدّسَت الملائكة»[٣]. وكانوا موجودين حين لم يكن وجود: «كنا حول عرشه محدقين»[٤]. فليس عبثاً ما توصّل إليه بعض من خاض

---

(١) عن الصادق عليه السلام قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا. الكافي الشريف ج١ ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) مولانا (أبي الحسن العسكري) عليه السلام عن مسائل منها تأويل هذه الآية فقال يحيى: ما هذه السبعة أبحر؟ وما الكلمات التي لا تنفد؟ فقال له الامام عليه السلام: أما الأبحر فهي عين الكبريت وعين اليمن وعين البرهوت وعين طبرية وعين ماسيدان وحمة إفريقية وعين باجروان. وأما الكلمات، فنحن الكلمات التي لا تنفد علومنا ولا تدرك فضائلنا ولا تستقصى. الاحتجاج ج٢ ص٢٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٦٣.

(٤) «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين»، الزيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان.

في هذا الباب من المعرفة وغاص فيه، حيث جزم بأنه ما خلا الحقيقة العلوية والمحمّدية والحسينية والفاطمية وصولاً إلى المهدوية، لا يوجد في العالم أيّة حقيقة. وتبيّن هذه الآية: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[١] أنّ كل عالم الوجود يدور حول مدارهم، وليس هناك مجال للاعتراض أو السؤال كيف ولِمَ ذلك. فكلٌ ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي على شاكلة الوليّ[٢] وليس شاكلته هو، حيث يكون كيفما صاغته يد الله وصنعت تركيبته. ويتطابق ضمير «الهاء» الوارد في كلمة «شاكلته» مع ضمير الـ«هو» المُؤوّل في آية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] و«الهاء» الواردة في آية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾[٤].

الوَلاية هديّة من الله تعالى

لا يزال إبراهيم الخليل عليه السلام عالقاً في «عين» عليّ عليه السلام ولم يصل إلى «اللام» بعد، كما لا يزال مع موسى وعيسى عليهما السلام عالقين في «حاء» الحسين عليه السلام بينما تنادون أنتم «يا حسين» ليل نهار، فاعرفوا قدر أنفسكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[٥]. وتؤدي عبارة ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ إلى الآية السابقة التي

---

(١) سورة الإسراء، آية ٨٤.

(٢) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله»، خطبة الدرّة اليتيمية.

(٣) سورة الإخلاص، آية ١.

(٤) سورة القدر، آية ١.

(٥) سورة إبراهيم، آية ٧.

تقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾[١]، أي إنْ كفرتم، سيكون الطاغوت هو آمركم وحاكمكم وسلطانكم، فإياكم أن تكفروا بالوَلاية، وإلّا سيرتدّ وبالُ ذلك عليكم[٢].

وليست الوَلاية بجعْل الجاعلين أو بانتخاب الناخبين أو بإثبات المثبتين، إنما هي هدية من الله العزيز. فيوم لا كان كائن ولا كان أين ولا كيف ولا أية هوية في الوجود، كان عليّ عليه السلام وكانت الذات المقدسة لرسول الله ﷺ. فكان محمّد واحداً مع عليّ صلى الله عليهما وآلهما وسلم، «أنا وعليّ من نور واحد»[٣]، وكلّهم نور واحد[٤]. وأقول: إرجعوا إلى الواحد لتصبحوا أنتم أنفسكم

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(٢) هذا لا يعني حتميّة أفضلية من ينادي «يا حسين» على موسى وعيسى أو من ينادي «يا علي» على إبراهيم عليه السلام إلا بلحاظ المعرفة.

(٣) من كلام لرسول الله ﷺ: «... وقال: يا قوم، أما سمعتم مني أني أنا وعلي من نور واحد، ولما تعانقنا اشتاق هو إلى المنزل الأول من نورنا فامتزج نوره بنوري حتى بقينا شخصاً واحداً كما ترون...»، صحيفة الأبرار ج٢ ص١٣٣.

(٤) روى الحسن بن سليمان الحلي من كتاب منهج التحقيق بإسناده عن محمد بن الحسين رفعه عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال: **«إن الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله عُدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين وتاسعهم قائمهم ثم** عدّهم بأسمائهم ثم قال: نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ ونحن المثاني التي أعطاها الله نبينا، ونحن شجرة النبوة ومنبت الرحمة ومعدن الحكمة ومصابيح العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله، ووديعة الله جل اسمه في عباده، وحرم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ومن خفره فقد خفر ذمة الله وعهده. عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا نحن=

واحداً معه. وتكون هذه الرجعة بالتوصّل، أولاً، لإدراك هذه الواحدية التعيّنية في أنفسكم، والإقرار بالواحدية التي ليس هناك شيء سواها، بعد ذلك ـ «وحده لا إله إلا هو».

فاطمة عليها السلام حقيقة «السلام»

وبالعودة إلى قضيّة «السلام»، فالإسلام إنما يكون باسم السّلام وفهمه ومعرفته، ومن هذا السّلام أُخِذت الرسالة وإليه تُعطى. «اللهم أنت السّلام ومنك السّلام ولك السّلام وإليك يعود السّلام»[1]. كما وردت في إحدى الزيارات عبارة: «واردُدْ عليّ السّلام»[2]، أي يا إلهي، عرّفني معنى السّلام الذي صدر مني.

=الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه. إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه على عباده ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه، وخزان علمه وتراجمة وحيه وأعلام دينه والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الاشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبد الله، ولولانا ما عُرف الله، وأيم الله لولا وصية سبقت وعهد أُخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه، أو يذهل منه الأولون والآخرون». بحار الأنوار ج٢٥ ص٥.

(١) من كلام للإمام الرضا عليه السلام: «وتسبح بتسبيح فاطمة وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، ثم قل: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، ولك السلام، وإليك يعود السلام، سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين...»، بحار الأنوار ج٨٣ ص٢٨ و٢٩.

(٢) «اللّهُمَّ إنّي صَلَّيْتُ وَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ لَكَ وَحْدَكَ لا لشَرِيكَ لَكَ لاِنَّ الصَّلاةَ وَالرُّكُوعَ=

فالصديقة الطاهرة عليها السلام هي السّلام وحقيقته، وقد عُرف الإسلام بالسّلام. وأوّل ما يفعله الناس عند الإلتقاء ببعضهم البعض هو إلقاء كلمة السّلام، ما يشير إلى جريان هذه الحقيقة بين الخلق في كل العالم. والله تعالى يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَٰمٌ﴾[١]، فكل الوجود فاطميّ. كما يقول تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[٢] أي أن دخول الجنّة يحتاج إلى اسم فاطمة عليها السلام أيضاً. هذا ويستلزم الوصول إلى الله تعالى، التلفّظ باسم فاطمة عليها السلام، فأوّل ما نأتي به لدى زيارة أولياء الله وأنبيائه هو السّلام عليهم. وقد أقرّ جميع الأنبياء بحقيقة السّلام، حيث قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[٣]. لِمن يكون التوجّه في الصلاة؟ للذي فطر السماوات والأرض، أي لاسم الله الفاطر. ويُقال في الدعاء: «يا فاطر بحقّ فاطمة»[٤]، ما يعني أنّ قبلتنا وكعبتنا هي الصدّيقة الطاهرة فاطمة[٥] عليها السلام. وقد فطمَت السيّدة الزهراء شيعتَها ومحبّيها عن

=وَالسُّجُودَ لا يَكُونُ إلاّ لَكَ لأَنَّكَ أَنْتَ الله لا إلهَ إلاّ أَنْتَ اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْلِغْهُمْ عَنِّي أَفْضَلَ التَّحِيَّةِ وَالسَّلامِ وَارْدُدْ عَلَيَّ مِنْهُمُ التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَ...»، زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

(١) سورة الأحزاب، آية ٤٤.

(٢) سورة الحجر، آية ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، آية ٧٩.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٤ ص٢٤٥.

(٥) أي أنها سلام الله عليها جهة التوجّه، حيث ورد في دعاء الندبة: «أين وجه الله الذي منه يؤتى».

النار[1]. ولهذا السبب، لم يحترق إبراهيم الخليل عليه السلام بنار النمرود.

الإسلام هو الدين الفاطميّ

إننا نتلفّظ بالسلام في كل يوم، وفاطمة الزهراء عليها السلام تمدّنا بالعون، سواء عرفنا ذلك أم لم نعرف. فإذا عرفناه، نكون من أهل المعرفة، والعكس بالعكس. ومَثل ذلك كمثل من يأكل طعاماً لا يعرف مكوّناته، علماً أنّ هناك صنفين من الطعام، واحد ظاهري وآخر باطني، وقد أوصِي الإنسان بالنظر إلى طعامه. فكما يتناول المرء طعاماً لا يدري حقيقته، فكذلك هو يتلفّظ بالسّلام في كل يوم من دون أن يدرك حقيقة ذلك السّلام، فلا يدري بأنه مرتبط بفاطمة الزهراء عليها السلام. وكما أوضحنا سابقاً، يُعدّ «السّلام» من أسماء الحق تعالى وهو يجد تعيّنه في السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام. فالوجود جارٍ بذلك «السّلام». وكذلك يرتبط الإسلام بـ«السّلام»، حيث أُمِر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بنشر دين الإسلام، أي الدين الفاطميّ. ولكن ليس بإمكان كلّ الناس فهم هذه الحقائق، ولو كان بإمكانهم ذلك، لَكَان العالم عبارةً عن جنّة. فعدم فهم الناس هو سبب كلّ المشكلات القائمة. وهكذا، فإنّ العالمون بهذه الحقائق هم أهل الوَلاية، لا أهل الوِلاية، وهم أصحاب النفوس المطمئنة، لا أصحاب النفوس الأمّارة.

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما سُمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النار. العوالم، ج٦ ص٣٠.

الموالون مُختارون

إذاً، بيّنّا وبشكل موسّع أبعادَ الوَلاية وأوضحنا أنها وَلاية إلهية وليست بجعْل الجاعلين. وكذلك بيّنّا حقيقة وجود الوِلاية المنتخبة من الناس وقابليّتها للاتباع. وبناءً عليه، يتعلّق الاختلاف في الرأي والذوق بالوِلاية لا بالوَلاية، التي لا يمتلك أحد أيّ سهم فيها. فكلّ من يعلم يعلم، وكل من لا يعلم لا يعلم. وهنا، ثمة أمر إضافي يجب توضيحه، فكما أنّ الوَلاية هي وَلاية إلهية وكليّة ومطلقة وقدسية يعيّن الله صاحبها باختيارٍ منه تعالى، فكذلك هو الحال بالنسبة للمقرّين بهذه الوَلاية، إذ إنهم مختارون من الله تعالى أيضاً. بالقوّة؟ نعم بالقوة، بالجبر؟ نعم بالجبر، حيث تتعلّق هذه المسألة بالجبر المطلق، فأمير المؤمنين عليه السلام هو أمير المؤمنين بالجبر الإلهي. ولا يكون الاختيار إلّا في التكاليف التي هي عبارة عن الأوامر والنواهي الصادرة من قبل الحق تعالى، فالصلاة أمر والكذب نهيٌ، على سبيل المثال. وكما يستطيع مؤمن كامل أن لا يصلّي ويكذب، يستطيع مرتدٌّ شقيّ أن يصلّي ولا يكذب، ذلك لأنّ هذا تكليف وفي التكليف اختيار. أما الجبر فيكون في الجعْل الأوّلي والأصلي، حيث لا مكان للاختيار ولا يمكن لأحد، باستثناء الوليّ، أن يتدخّل في مثل تلك المسائل. فهَل خاض أمير المؤمنين والرسول الأكرم صلى الله عليهما وآلهما وسلم والأنبياء عليهم السلام مسابقةً عند الله تعالى، فجاء ترتيبهم بحسب النتائج؟ بالطبع لا[1]. وينطبق الأمر نفسه على درجات الإيمان في باب

---

(١) عن سلمان قال: كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها=

الإرتباط بالوَلاية. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام ما مفاده بأنّ المقداد بن الأسود الكندي[١] هو أوّل من يأتي بعد المعصومين

=فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله، أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك. فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: **يا فاطمة، أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبياً، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختار منها زوجك، وأوحى إليَّ أن أزوّجك إياه، وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي.** فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أوّل من يلحق بي من أهلي. ثم اطّلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيّدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديّون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم. أما تعلمين يا بنيّة أنّ من كرامة الله إياك أنّ زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله... الصدوق في كمال الدين ص٦٦٢.

(١) قال أبوعبدالله عليه السلام: إنما منزلة المقداد بن الأسود في هذه الأمة كمنزلة ألف في القرآن لا يلزق بها شيء. الاختصاص للشيخ المفيد، ص١٠، ومن كلام للإمام الصادق عليه السلام: «... فاستوى جالساً فقال: ما عسى أن تقولوا، والله ما خرج إليكم من علمنا إلا ألفاً غير معطوفة»، بصائر الدرجات ج٨ ص٥٠٧. كما ورد في الأثر: «ما بقي احد إلّا وقد جال جول إلا المقداد بن الأسود فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد» «وهو من الذين مضوا على منهاج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا»، معجم رجال الحديث ج١٣ ص٣٦٠ و٣٦٣. ما ورد عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن سلمان الفارسي... إلى أن قال: قلت: فما تقول في المقداد؟ قال الله صلى الله عليه وآله: وذاك منا أبغض الله من أبغضه وأحب الله من أحبه»، معجم رجال الحديث ج١٨ ص٣٦٨.

الأربعة عشر. مع الإشارة إلى أنْ لا علاقة للسيّدة زينب وأبي الفضل وعليّ الأكبر وأمثالهم عليهم السلام بمسألة العدد، حيث أنهم مشمولون مع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، فذِكرُ السيدة فاطمة الزهراء لا ينفصل عن ذكر زينب عليها السلام وكذلك الحال مع أبي الفضل وعليّ الأكبر وشهداء كربلاء الفانين في الحسين عليه السلام. وبالنتيجة، يسري هذا المنطق على أولاد الحسين عليه السلام وأهل بيته. وبالنسبة إلى العدد، لا تدخل فاطمة الزهراء عليها السلام في عداد الأئمة الإثني عشر. ومردّ ذلك إلى أنّها الأصل والأساس، فهي الوالدة للأئمة[1] عليهم السلام.

أثر قبول الوَلاية والتردّد فيها

وبالتالي، يحتلّ المقداد بن الأسود الكندي المرتبة الأولى بعد أهل البيت عليهم السلام، ويليه سلمان المحمّدي ثم أبي ذر الغفاري. ولكن ما سرّ حيازة المقداد على هذه المرتبة المتقدّمة؟ إنّ السرّ في ذلك هو أنّه قبِل بالوَلاية قبل سلمان. وكلّما قبِل الإنسان بالوَلاية أسرع، كلما كانت علامته أمثَل.

كما نُقل عن أهل البيت عليهم السلام قولهم بأنْ يستعدّ للبلاء من يصبو

---

(١) زيارة فاطمة عليها السلام في الروضة: تقف في الموضع المذكور وتقول: السلام على البتولة الطاهرة والصديقة المعصومة والبرة التقية سليلة المصطفى وحليلة المرتضى وأم الأئمة النجباء...، بحار الأنوار ج٩٧ ص١٠٧. وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: نَحْنُ حُجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمة عليها السلام حُجّة الله علينا. تفسير أطيب البيان، ج١٣ ص٢٢٦.

إلى وَلايتهم ومحبّتهم، وقد يكون ذلك البلاء ماديّاً أو بدنياً أو معنوياً أو غير ذلك. وبحسب إحدى الروايات، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: إنّي أحبّك حبّاً جمّاً. فقال الإمام: صدقتَ وأنا أعلم ذلك، فاستعدّ للبلاء[١]. وقال عليه السلام في موضع آخر: إستعدّ للفقر أو «اتّخذ الفقر جلباباً»[٢]. ويُنقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الوحيد الذي لم يعرف فقراً ولا بلاء، إنما كانت ولايته تامّة، هو المقداد بن الأسود الكندي[٣]، المكنّى بـ«أبو معبد». ولدى سؤاله عن سبب نيله تلك الدرجة العالية، كان جوابه عليه السلام بأنّ المقداد لم يتردّد طرفة عين في أمر الوَلاية في حين تسرّب التردّد إلى أذهان الآخرين من أهل الولاية[٤]. ولذلك نُقل

---

(١) قال عليّ عليه السلام: مَنْ أحَبَّ أهل البيت فليَستعد عدّة للبَلاء. بحار الأنوار ج٣٤ ص٣٣٦، ٣٦٢، ٣٣٤.

(٢) روى الشيخ المفيد رحمه الله في «الاختصاص» بإسناده عن ابن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في المسجد وأصحابه حوله، فأتاه رجلٌ من شيعته فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ الله يعلم أني أدينهُ بولايتك في السرّ كما أحبّك في العلانية، وأتولاك في السرّ كما أتَولاكَ في العلانية. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت، أما للفقر فاتخذ جلباباً، فإن الفَقر أسرَعُ إلى شيعتنا من السيل إلى قرار الوادي. بحار الأنوار، ج٣٤ ص٢٥٧ ـ ٢٥٨ ح١٠٠٥. القطرة ج١ ص١٥.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام: فأمّا الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود لم يزل قائما قابضاً على قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين عليه السلام ينتظر متى يأمره فيمضي. معجم رجال الحديث والبحار ج٢٢ ص ٣٢٢.

(٤) قال الإمام الباقر عليه السلام: ارتدّ الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد، قلت: =

عن الإمام عليه السلام ما مفاده بأنّ البلاء لا يصيب من لا يتردّد في أمر الولاية. وبالتالي، تحلّ النعمة على من يقبل بوَلاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ليستعدّ للبلاء والفقر، كلّ من يطرأ على ذهنه أيّ تراجع في هذا الشأن[1].

=فعمّار؟ قال: قد كان حاص حيصة ثم رجع، ثم قال: إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد، فأما سلمان، فإنه عرض في قلبه عارضٌ أنّ عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتْهم الأرض وهو هكذا، فلُبّب ووُجئت عنقه حتى تُركت كالسِّلعة (الغدة في الجسم)، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أبا عبدالله !.. هذا من ذلك، بايع فبايع. وأما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت، ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلا أن يتكلم فمرّ به عثمان، فأمر به، ثم أناب الناس بعد، وكان أول من أناب أبو ساسان الأنصادي وأبو عمرة وشتيرة وكانوا سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة». كتاب جواهر البحار، ج٢٨ (كتاب الإمامة. الباب الرابع) ص ٢٣٩ نقلاً عن كتاب الكشي ص ١١.

(١) في حديث أبي حمزة الثمالي: أنه دخل عبدالله بن عمر على الإمام زين العابدين سلام الله عليه وقال: «يا ابن الحسين أنت الذي يقول إن يونس بن متى إنما لقي ما لقي لأنه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ قال: بلى ثكلتك أمك. قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين. فأمر بشدّ عينيه بعصابة وعينيّ بعصابة ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه فقال ابن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي فقال هيه وأريه إن كنت من الصادقين ثم قال: يا أيها الحوت، قال فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله. فقال: من أنت؟ قال: أنا حوت يونس يا سيدي. قال: أنبئنا بالخبر. قال: يا سيدي إن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدّك محمد إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص ومن توقف عنها وتمنع من حملها لقي ما لقي آدم سلام الله عليه من المعصية وما لقي نوح سلام الله عليه من الغرق، وما لقي إبراهيم سلام الله عليه من النار وما لقي=

«أفضل» في إذن الزيارة

وفي باب منفصل، وبمناسبة ولادة الإمام الرؤوف، السلطان عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، نشير إلى أحد المعاني اللطيفة الواردة في إذن الدخول الخاصّ بزيارة الإمام الرضا عليه السلام حيث نقول: «فإئذن لي بالدخول أفضل ما أذنتَ لأحد من أوليائك». فما معنى كلمة «أفضل»؟ كلمة «أفضل» هي الصفة التفضيلية من «فاضل»، وفاضل الطعام هو ما يتبقى من الأطعمة بعد الأكل، وهو الذي يُجمع، عادةً، للاستهلاك في وقتٍ لاحق. أما الأفضل فهو فتات الطعام الذي ما عاد قابلاً للأكل.

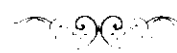

=يوسف سلام الله عليه من الجب، وما لقي أيوب سلام الله عليه من البلاء وما لقي داوود سلام الله عليه من الخطيئة إلى أن بعث الله يونس سلام الله عليه فأوحى الله أن يا يونس تولَّ أمير المؤمنين علياً والأئمة الراشدين سلام الله عليه من صلبه في كلام له (أي جاء في كلام يونس) قال: فكيف أتولى من لم أره ولم أعرفه وذهب مغتاظاً فأوحى الله تعالى إليّ أن إلتقمي يونس ولا توهني له عظماً فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي أنه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده فلما أن آمن بولايتكم أمرني ربي فقذفته على ساحل البحر، فقال زين العابدين سلام الله عليه: إرجع أيها الحوت إلى وكرك. واستوى الماء». بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج ١٨ ص ١٦٢ باب ١ (المبعث وإظهار الدعوة).

ركن الإسلام الأهمّ

قال سيّدنا ومولانا وإمامنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس: على الصوم والصلاة والحج والجهاد والولاية وما نودِيَ بشيء مثلما نودي بالولاية». لا شكّ أنّ هذا الحديث معتبرٌ وصحيح وجدير بالاهتمام من حيث السّند والدلالة. وتؤيّد هذا الحديث روايةٌ أخرى منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، وتسلّط الضوء على الركن الخامس والأخير وهو «الولاية». ففي آخر ساعات عمره الشريف، أوصى الإمام الصادق عليه السلام بوصيّة خصّ فيها الولاية بالذكر.

الوصيّة أساس

وتعتبر الوصيّة من القضايا الأساسيّة التي أوصى بها الإسلام، فقد أشارت إليها إحدى الآيات القرآنية التي تقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ

وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١]. وتشمل الأحكام الأربعة مسألة الوصيّة، إذ هناك مسائل يتوجّب تضمينها بالوصيّة في حين يُحرّم تضمين مسائل أخرى ويُستحبّ أو يُكره تضمين مسائل غيرها. فيجب، على سبيل المثال، الإيصاء بقضاء الديون لأصحابها وإيتاء الناس حقوقها على كل من في رقبته دين وحقوق للآخرين. غير أنه يُحرّم على الإنسان أن يوصي بتحويل بيته إلى مكان لبيع المُسكرات بعد وفاته مثلاً. وهكذا بالنسبة للوصيّة المستحبة والمكروهة، حيث يوصى، في الأولى، بإنفاق الأموال على الأمور المستحبّة، وفي الثانية بإنفاقها على الأمور المكروهة. ويقول رسول الله ﷺ: «من مات بلا وصيّة، مات نصرانياً أو يهودياً»[٢] أي أنه يخرج من الإسلام. ويُستدلّ من ذلك على أنّ الوصيّة هي من الشؤون المعتبرة في الدين الإسلاميّ، ويُستحبّ للمسلم أن يضع وصيّته تحت رأسه عند النوم دائماً[٣]. غير أنّ هناك الكثير من المسائل الأساسية والمهمّة في الإسلام، يغفل عنها المسلمون ولا يعيرونها أيّ اهتمام، وتُعدّ الوصيّة واحدة منها. ولا يقولنّ أحدٌ بأنه لا يمتلك شيئاً ليوصي به، فالوصيّة ضرورية.

---

(١) سورة البقرة، آية ١٨٠.

(٢) عن رسول الله ﷺ: من مات بغير وصيّة مات ميتة جاهليّة. النهاية، الشيخ الطوسي، ص٦٠٤.

(٣) عن رسول الله ﷺ: ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت ليلة إلا ووصيّته تحت رأسه. ميزان الحكمة، الريشهري.

الخُمس صِلة الوصل مع الوليّ

يقول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ﴾[1]. ومن هنا، نجد أنّ مسألةَ الخُمس ضروريةٌ جداً إلى حدّ أنه يُستفاد من أقوال الإمام الرضا عليه السلام أنّ الخُمس هو رمز التشيّع. فالخُمس هو الفارق بين الشيعي وغيره منذ أن كان غير الشيعة لا يعترفون بالخُمس بل بالزكاة. وبالتالي، فإنّ الخُمس خاصّ بالشيعة، وهو يُدفع في سهم منه إلى إمام الزمان الوليّ المطلق عجل الله فرجه. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ لا علاقة لهذه المسألة بالمال، لأنّ المال لا قيمة له أصلاً. فالهدف من الخُمس هو الحفاظ على حبل الإرتباط بالوليّ وعدم قطعه. وكذلك هو الحال بالنسبة للصيام والصلاة، إذ إن الله ليس بحاجة إلى صلاتنا وصيامنا، وإنّما وُجدت هذه العبادات لتأمين صلة الوصل بيننا وبينه.

حضور الموت

إذاً، تعدّ الوصيّة من المسائل الأساسية التي يترتّب عليها الكثير من الآثار. فكتابة الوصيّة والنظر إليها في كل ليلة يوجِبان الزيادة في العمر، على سبيل المثال. ولكنّ البعض يخاف من الموت، فيتجنّب كتابة الوصيّة، حتى أنّ هناك من لا يذكر اسم الموت خشيةَ أن يموت مبكراً. وفي الواقع، لا يُردّ ذلك إلا إلى ضعف الاعتقاد لدى هؤلاء الناس.

---

(١) سورة التوبة، آية ٤١.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، تشتمل هذه الآية على الكثير من الكلام. فما معنى «إذا حضر أحدكم الموت»؟ علماً أنهم عليهم السلام قد حثّوا على كتابة الوصيّة قبل الموت وحضور آثاره، إذ تصبح الوصيّة واجبةً على الإنسان منذ بلوغه سنّ التكليف، مِثلها مِثل بقيّة التكاليف الشرعيّة كالصّلاة والصوم. فماذا تعني عبارة «إذا حضر أحدكم الموت» في هذه الحالة؟ كان بُرير بن حصين الهمداني وحبيب بن مظاهر الأسْدي صديقين منذ زمن بعيد قبل يوم عاشوراء. ومن المؤكد أنهما كانا قد كتبا وصيّتهما في وقتٍ سابق، نظراً لكونهما من المؤمنين الخلّص ومن الشخصيات البارزة في يوم عاشوراء. ولكن، في لحظات بُرير الأخيرة قبيل أن يُسلِم الروح، وقف حبيبٌ فوق رأسه وقال له: لولا أعلم أنّي في الأثر لأحببتُ أن توصيني بجميع ما أهمّك ـ نبيّن معنى عبارة «إذا حضر أحدكم الموت»، بما يرتبط بالتركيب العاشورائيّ ـ عندها، أشار بُريرٌ بإصبعه إلى خيمة الإمام الحسين عليه السلام وقال: أوصيك[1] بهذا الرجل، فاعتنِ به. وبالتالي، إذا حضر أحدكم الموت وفي آخر لحظات حياتكم، أوْصوا أفراد أسرتكم وأقرباءكم بأن لا ينسوا الإمام الحسين عليه السلام، كما فعل حبيبٌ وبُرير، العاشقان لسيّد

(١) قال النبي الله صلى الله عليه وآله: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة...»، بحار الأنوار ج٧٨ ص٢٤١.

الشهداء عليهم السلام، إذ تُفسِّرُ كربلاء مسألةَ الوصيّة في اللحظات الأخيرة من الحياة، من خلال قضية بُرير وحبيب[١].

الوصيّة خلاصة الحياة

إنّ الوصيّة هي خلاصة حياة الإنسان. وقد أوصى رسول الله بتولّي عليّ صلى الله عليهما وآلهما وسلم من بعده، ما يعني أنّ خلاصة رسول الله صلى الله عليه وآله تصبّ في وجود أمير المؤمنين عليه السلام. وقد أمَر صلى الله عليه وآله، في آخر لحظات عمره الشريف، بإحضار قلم ودواة حتى يكتب وصيّته، غير أنّ ذلك الملعون، بكلّ اللعائن الإلهية، تفوّه بكلمة نابية بحق رسول الله صلى الله عليه وآله لم يجرؤ أحدٌ في العالم على التفوّه بها حتى يومنا هذا، فقال: «إنّ الرجل ليهجر»[٢]، في حين

---

(١) وكذا حصل مع مسلم بن عوسجة، ففي اليوم العاشر من شهر محرّم، بدأ الأصحاب يتقدّمون للقتال بعد استئذانهم من الإمام عليه السلام تارة فرداً فرداً وأخرى إثنان وأحياناً ثلاثة، حتى يستشهدوا رضوان الله عليهم، إلى أن سقط مسلم بن عوسجة، فمشى نحوه الإمام الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر، وكان ما يزال حيّاً، فقال الإمام عليه السلام «رحمك الله يا مسلم، وتلا قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾. ثمّ دنا منه حبيب، وقال له: «لولا أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصيني بجميع ما أهمّك». نعم ماذا يوصي مسلم في حاله هذه؟ نعم، الله أكبر، ما أعظمها من وصيّة، التفت مسلم إلى حبيب وقال: «أوصيك بهذا الغريب وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه حتى الموت»، نفس المهموم.

(٢) روى مسلم وأحمد بإسنادهما والطبري في تاريخه عن الثاني أنّه قال: «إنّ رسول الله يهجر»، صحيح مسلم ج٥ ص٧٦، مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٥٥، تاريخ الطبري ج٢ ص٤٣٦، كتاب سليم بن قيس الهلالي ص٢٣٤. الغيبة ص٨٤، مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٠٢ بحار الأنوار ج٢٢ ص٤٧٢، ٤٩٨، غاية المرام ج٦ ص٩٩، الأربعين في إمامة الأئمّة الطاهرين ص٥٣٤.

أنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[١]. ولقد كان ذلك الملعون يعلم ما كان يريد رسول الله ﷺ كتابته إلّا أنه حال دون ذلك. ولهذا، كانت الوصيّة لفظيّة لا خطيّة. وبعد أن أوصى الرسول ﷺ بعليّ عليه السلام، جمع كل أهل بيته وأوصاهم بولده الحسين عليه السلام[٢].

نوْل الشفاعة بالموت

وبالعودة إلى وصيّة الإمام الصادق عليه السلام، فقد أمر في آخر لحظات عمره الشريف باجتماع أفراد أسرته وأقاربه وخاصّة أصحابه ثم بدأ يعلّمهم لأنّ تلك اللحظات، كما ذكرنا، تكشف عن وجود الإنسان وخلاصته. فقال عليه السلام: «والله، لن تنال شفاعتنا (والشفاعة شأن من شؤون الولاية) مستخفاً بالصلاة»[٣]، وقد رأيتُ في الروايات عبارةً أخرى تدخل في سياق بحثنا: «والله لا

---

(١) سورة النجم، آية ٣ و٤.

(٢) قال جابر بن عبدالله الأنصاري بإسناده: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: سلام الله عليك أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا فعن قليل ينهد ركناك، والله خليفتي عليك، فلما قبض رسول الله ﷺ قال عليّ عليه السلام: هذا أحد ركني الذي قال لي رسول ﷺ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال عليّ عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله ﷺ. بحار الأنوار ج٤٣، ص٢٦٢.

(٣) يقول أبو بصير: دخلت على حميدة أعزّيها بأبي عبدالله عليه السلام فبكت ثم قالت: يا أبا محمد لو شهدته حين حضره الموت وقد قبض إحدى عينيه ثم قال: ادعوا لي قرابتي ومن لطف لي، فلما اجتمعوا حوله قال عليه السلام: «إن شفاعتنا لن تنال مستخفاً بالصلاة»، بحار الأنوار، ج٨٢، ص٢٣٥.

تنالُ ولايتنا (كلها وليس الشفاعة فحسب) مستخفاً بالصلاة»[١].

ومن بين المعاني اللغوية لكلمة «الولاية» أن يتبع شيءٌ شيئاً من دون أن يفصل بينهما أيّ فاصل، ما يعني أنّها ارتباط واتصال بين شيئين من دون واسطة. وتُشتق كلمة «ولاية» من كلمة «وَلى» و«يلي»، فوَلَى إليه تعني دنا منه. كما ينطبق المعنى نفسه على كلمة «الشفاعة»، حيث يرد في دعاء التوسّل: «يا وجيهاً عند الله إشفع لنا عند الله»، أي لا تفصل بيني وبينك أبداً عند الله. ومن المعلوم أنّ الشفاعة تأتي بعد الموت، غير أنّ الموت المقصود هنا ليس الموت التقليدي المُتَدَاوَل معناه في العموم فحسب. بل إنّه الموت الذي يتخلّص الإنسان بموجبه من كلّ العوارض والرغبات الفارغة التي تُفقِد وجودَه الأهمية والاعتبار فيكفّ عن الطلب والغضب والادّخار والاكتناز لنفسه[٢]. وهذا الموت هو أفضل موهبة يمكن لله أن يمنحها لمخلوق، إذ لا تُنال شفاعة أهل البيت عليهم السلام، بحسب قول الإمام الصادق عليه السلام، إلا عندما تموت الإنيّة الوجودية و«الأنا» الموجودة فينا، لأن هذه الإنيّة هي التي تحول بين الإنسان ووصوله إلى الشفاعة. وخلاصة القول أنّ الشفاعة لا تأتي إلّا بعد

---

(١) من وصية الإمام الصادق عليه السلام لابن جندب: «يا ابن جندب، بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس. يا ابن جندب، إنما شيعتنا يعرفون بخصال شتى: بالسخاء والبذل للإخوان، وبأن يصلوا الخمسين ليلاً ونهاراً، شيعتنا لا يهرون هرير الكلب...». تحف العقول، ص٣٠١ ـ ٣٠٧.

(٢) الموت الإرادي.

الموت المقصود في حديث رسول الله ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا»[١].

الشفاعة وأصحاب الحسين عليه السلام

وهناك فئة وحيدة فحسب، لا يلزمها هذا النوع من الموت لتنال الشفاعة. وهي فئة أصحاب الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه في كربلاء، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾[٢]. فلا يحتاج الأصحاب إلى الموت، لأنهم أنفسهم صانعوه. وبالنسبة لهم، لا مفهوم للموت، إذ عندهم ما هو أفضل منه؛ وهو الحياة. ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، فربّهم[٣] هو الحسين عليه السلام وهم معه. وبالتالي، لا يحتاج أولئك الأصحاب إلى مقدّمة الشفاعة التي يحتاجها جميع المؤمنين، وهي الموت.

إن «الشهيد لا يُغسَّل ولا يُكفَّن بل يُدفن بثيابه»، فهذه الآداب تُرفع عند الشهادة، وذلك على الرغم من أهميّة الغسل والوضوء

---

(١) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي، ج٨ ص٦٣٠، بحار الأنوار، ج٨ ص٣٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٦٩.

(٣) يجوز إطلاق لفظ الرب على غير الله من غير استقلال كأن يقال مثلاً ربّ البيت أو ربّ العمل كما في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، سورة يوسف، آية ٤٢. فالرّب يعني السيّد والمولى وقد قال الشيخ العارف الكامل القاضي سعيد الشريف القمي في «البوارق الملكوتية» ص٣٠٧: «... قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (سورة الرعد، آية ٢)، أي ربكم الذي هو الإمام، فانظر ما أحكم كلام الله وأتقن صنع الله».

اللذين يقرّبان الإنسان من الولاية، حيث يعتبر الماءُ تنزلاً لها. وتجدر الإشارة إلى أنّ الغسل والوضوء والطهارة الواجبة في كل عبادة، بالإضافة إلى كيفية غسل اليدين والوجه ومسح الرأس والقدمين بالماء، كلها مسائل تنطوي على رموز تخصّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، يمكن الرّبط بين هاتين الآيتين. فالغسل هو استغراق وفناء وذوبان في الماء من الرأس إلى القدم. وعند الموت، يُغسّل الإنسان بالماء الذي هو تنزّل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ثم يوضع في التراب الذي يعتبر المرتبة الثانية للولاية، حيث يُكنّى أمير المؤمنين عليه السلام بـ«أبو تراب». غير أنّ الشهيد ليس بحاجة لا للغُسل ولا للكفن. وصحيحٌ أننا نقول إنّ شهداء نينوى، ومعهم الحسين عليه السلام، ظلّوا بلا غسل ولا كفن، إلا

---

(١) سورة الأنبياء، آية ٣٠. علي بن محمد بن مخلد الجعفي معنعناً عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (سورة الفرقان، آية ٥٤) قال: خلق الله نطفة بيضاء مكنونة، فجعلها في صلب آدم، ثم نقلها من صلب آدم إلى صلب شيث، ومن صلب شيث إلى صلب أنوش، ومن صلب أنوش إلى صلب قينان، حتى توارثتها كرام الاصلاب ومطهرات الارحام، حتى جعلها الله في صلب عبدالمطلب، ثم قسمها نصفين: فألقى نصفها إلى صلب عبدالله ونصفها إلى صلب أبي طالب، وهي سلالة، فولد من عبدالله محمد صلى الله عليه وآله ومن أبي طالب علي عليه السلام فذلك قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ زوج فاطمة بنت محمد، فعلي من محمد، ومحمد من علي، والحسن والحسين وفاطمة نسب، وعلي الصهر. بحار الأنوار ج٥٣ ص٣٦٠، عن تفسير فرات ص٢٩٢، غاية المرام ج٤ ص١١٦، تأويل الآيات ج١ ص٣٧٧.

أنّهم لا يحتاجون إليهما، وذلك وفقاً للأحكام الشرعية والفقهية أيضاً. إلا أنّ كربلاء هي التي أعطت الاعتبار والحيثية لهذا المعنى، وليس الحكم الشرعيّ والفقهيّ.

الورع والاجتهاد شرطا الوَلاية

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ ولايتنا لا تُنال إلّا بورع واجتهاد»[1]. وفي الحقيقة، يمتلك القلب قدرة كبيرة على الجدّ والعمل، إذ إنه عضو مخلوق بوضع جينيّ خاص يؤمّن له النشاط والفعالية. فعندما بدأ الحسين عليه السلام بنهضته، لم يأمر أصحابه بالذهاب وإنهاء المسألة بينما ظلّ هو بالمدينة، بل إنه نزل بنفسه إلى الميدان وحارب وقاتل واستشهد. وانطلاقاً من هذا الواقع، يُضاعف جُهده وجِدّه وسعيه، كلّ من يودّ أن يزداد قرباً من الحقيقة. فلا يوجد في قاموس شيعة أمير المؤمنين عليه السلام معنى للكسل والخمول، لأنّ الولاية والتشيّع يوجِبان دوامَ السّعي والجهد. والحال نفسه مع المعرفة والعرفان، حيث ينبغي الاجتهاد لتحصيلهما.

المفاهيم الخاطئة

وبالعودة إلى وصيّة الإمام الصادق عليه السلام وحديثه الذي أوضح فيه بأن وَلاية أو شفاعة أهل البيت عليهم السلام ـ والتوحّد معهم والإرتباط

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «... واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد...»، بحار الأنوار ج٦٥، ص٦٥ ح١١٨.

بهم ـ لا تنال مستخِفّاً بالصلاة، نجد أن البعض يفسّر الشفاعة على أنها التوسّط لغفران الذنوب والمعاصي في يوم القيامة. غير أنّ هذا المعنى خاطئ ولم يقل به أيٌّ من كبراء أهل الدين. وتبعاً لما ذكرناه سابقاً، فإنّ الشفاعة هي توحّد الفرد مع تلك الحقيقة النورانية المطلقة، «يا وجيهاً عند الله إشفع لنا عند الله».

وفي سياق التفسيرات الخاطئة، يمكن التطرّق إلى حديث: «حبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيّئة»[1]، حيث يشتقّ فعل «تضرّ» من كلمة «ضرّة» ـ أي الزوجة الثانية ـ لا من كلمة «ضرر». وبالتالي، لا يعني هذا الحديث أنّ صاحب السيئة[2] لا يلحق به الضرر بفعل ذنبه، بل يعني أنّ حبّ عليّ هو حسنة لا تأتي معها سيّئة، فالسيّئة هي ضرّة الحسنة ولا يمكن لهما العيش سوياً. وهكذا، فإنّ محبّة أمير المؤمنين عليه السلام هي أسمى ممّا تفسّرونه، إذ تحول هذه المحبّة دون صدور السيّئة من قِبل مَن تشرّف بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) قال عليه السلام: «حبّ علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة». بحار الأنوار ج٣٩ ص ٢٤٨ ب ٨٧ ح ٨.

(٢) من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «... الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت...»، الكافي: ج١، ص١٨٥، ح ١٤. ومن كلام للإمام أبي جعفر عليه السلام: «... قال: الحسنة ولاية علي، والسيئة عداوته وبغضه»، كنز الفوائد ص٢١١ و٢١٢. ومن حديث لأبي جعفر الباقر عليه السلام: «... فما رأيت من أخيك من شر لفظ أو زنا، أو شيء مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريته ولا من إيمانه، إنما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت...»، بحار الأنوار ج٥ ص٢٤٧.

المستخفّ بالصلاة مستخفٌ بالوَلاية

«وما نودي بشيء مثلما نودي بالوَلاية». فلا يكون إنسانٌ من أهل الوَلاية مُستخفاً بصلاته، ولا يكون إنسانٌ من أهل الوَلاية وهو جاهلٌ بماهيّة تلك الصلاة ومفهومها. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا صلاة المؤمن»[١]، كما قيل: «نحن الصّلاة وشيعتنا المصلون»[٢]. والنتيجة أنّ من يستخفّ بالصلاة، يستخفّ بالوليّ، فالصّلاة هي الوجود المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام وباقي الأئمة وصولاً إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه. وفي هذه الحالة، لا يمكن للوَلاية أن تصل إلى ذلك الإنسان. وتنقسم أركان الصلاة بين ركوع وسجود وقراءة، فيعدّ كلُّ ركنٍ وذكر ومقدمة من أركانها وأذكارها ومقدّماتها شأناً من شؤون الولاية، في حين أن الوليّ المطلق هو الصلاة بأكملها. «أنتم صلاتي وصومي، أنتم فروضي

---

(١) فضائل ابن شاذان، ص٨٣.

(٢) روى الشيخ أبوجعفر الطوسي رحمه الله باسناده إلى الفضل بن شاذان عن داود بن كثير قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزوجل وأنتم الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داود، **نحن الصلاة في كتاب الله عزوجل، ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحج...**»، بحار الأنوار ج٢٤، ص٣٠٣. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان عليّ بن الحسين قاعداً في بيته إذ قرع قوم عليهم الباب فقال: يا جارية انظري من بالباب؟... إلى أن قال: **إنما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم، قد قرحت العبادة منهم الاناف، ودثرت الجباه والمساجد خمص البطون، ذبل الشفاه، قد هيجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي وقطع الهواجر جثثهم، المسبحون إذا سكت الناس، والمصلون إذا نام الناس...**»، بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٦٩.

ونفلي»[١]. فلا تستخفوا بالصلاة، كما أوصاكم إمامكم الصادق عليه السلام.

وأقول: يدخل في إطار الاستخفاف بالصلاة كلُّ كلامٍ هزليٍّ ومثير للضحك قد يتلفّظ به البعض في ما يتعلق بعاشوراء ومجالس العزاء وباقي الشؤون التي ترتبط بأهل البيت عليهم السلام، حتى ولو كان صادراً عن المقرّين والمعترفين وغير المنكرين والباكين على الإمام الحسين عليه السلام. ولذلك، أنظروا إلى كل شيء يربطكم بشؤون الولاية نظرةَ احترام[٢].

(١) «أنتم فروضي ونفلي، أنتم حديثي وشغلي، يا قبلتي في صلاتي»، شعر لابن فارض.
(٢) ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ سورة النور، آية ١٥.

هنالك الوَلاية لله

قال سيّدنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «بُنِيَ الإسلام على خمس: على الصوم والصلاة والحج والزكاة والولاية وما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية». شرحنا سابقاً الفرق بين الوِلاية والوَلاية. ويقول الله تعالى في مُحكم كتابه العزيز: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾[1]، وبالتالي، ترجع الوَلاية إلى الله تعالى وحده وهو الذي يمنحها لمن يشاء برحمته. وحتى الآن، لم تُمنح تلك الوَلاية لأحدٍ عدا المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. أما الوِلاية، فيمكن إعطاؤها إلى الخلق من قبل الخلق، فهي خاضعة للتشخيصات والمقاييس البشرية، رغم أنّ بدأَها من الله تعالى وعودَها إليه في النهاية.

---

(١) سورة الكهف، آية ٤٤.

الوجود خاضع لسيطرة الوليّ

ويقع كل الخلق والوجود، بما يشتمل عليه من أطوار وأدوار، تحت السيطرة التامّة للوَلاية، فلا يخرج أيّ موجود عن مداها. أمّا الوِلاية، فلا يتعدّى نطاقَ سيطرتِها مجموعاتٌ من الأفراد. وترتبط الوِلاية ببواطن الناس، فبحسب ما تكون بواطنهم ونواياهم، يبعث لهم الله وليّ أمرٍ يستلم زمام أمورهم، من حكم وسلطة وأحكام شرعية. فإذا كان الناس من أصحاب البواطن الخيّرة، يختار الله لهم وليّ أمرٍ صالحاً. أما إذا كانوا من أصحاب البواطن الفاسدة ومن أهل التهمة والغيبة وممّن يفتقرون إلى الفهم والذوق والإنصاف والمروءة، فلن يختار لهم الله إلا وليّ أمرٍ من نفس سنخيّتهم. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنتم خياراً، فأولياؤكم خياراً وإن كنتم شراراً فأولياؤكم شراراً»[1]، ما يعني أنّ الله يرى بواطنكم، فيختار لكم أولياء بِحَسَبها. وحتى هنا، لا يخرج الأمر عن يد الوَلي، من الوَلاية، فهو صاحب السّيطرة وبواسطته تتمّ كل الأمور. وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قضت قابليّة الناس بأن يُعيَّن الأوّل وليّاً عليهم، وكذلك عند تعيين الثاني والثالث. فلم يجرِ هذا الأمر في الخلق إلا على يد الوليّ المطلق أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان صاحب الوَلاية في زمان الأول والثاني والثالث، وفي كل زمان سابق ولاحق. فالوَلاية كليّةٌ ومطلقةٌ

(١) «كما تكونوا يُولّى عليكم»، المتقي الهندي، كنز العمال ج٦ ص٨٩، (في لواحق الإمارة والخلافة)، ح ١٤٩٧٢.

وجاريةٌ في الخلق، تكويناً وتشريعاً، بحيث تخضع كل الموجودات لسيطرتها، فلا تنمو النباتات ولا تثمر الأشجار إلّا بإذن الوليّ المطلق ولا تمطر الغيوم إلا بمشيئته[1]، كما لا تحمِل أنثى ولا تلد إلّا بإذنه، سواء كانت من الإنس أو الجنّ أو الحيوانات، ولا تنعقد نطفة أي موجود في العالم إلّا بتدخل الوليّ المطلق ليَأْذَن بانعقادها، وهذه هي الوَلاية التكوينية.

كما تكونوا، يُولّى عليكم

وفي المقابل، تنحصر الوِلاية بالأحكام والأوامر وتأمين نظام الخلق في الظاهر. ولا يأتي هذا الوليّ إلّا بتعيين الوليّ المطلق، فهو الذي يقول: إذا كنتم، أخياراً أرسل لكم ولياً خيّراً وإذا كنتم أشراراً أرسل لكم وليّاً مثلكم. وإذا كنا نودّ أن نفهم الوَلاية وندركها ونكون من أهل معرفتها حقاً، ينبغي أن لا نخلط بين هذين البحثين.

الوَلاية أزليّة أبديّة

ويأتي الوليّ، المشتق من الوِلاية، بالشورى، فيتشاور الناس ويعيّنونه. ولكن ليس على غرار تلك الشورى التي حصلت بعد رسول الله ﷺ وأتت بالأول، فهي لم تكن سوى عملية تزوير.

---

(١) ...بكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأشجار أثمارها وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها وبكم يكشف الله الكرب وبكم ينزل الله الغيث... بحار الأنوار، ج ٩٨ ص١٥٣.

وقد أوصى الأول بالثاني بعد ذلك، وكأنّ الأحكام وُضعت ليختاروا منها ما يشاؤون كيفما يشاؤون، تارة الشورى وأخرى الوصيّة. لقد تآمروا على أمير المؤمنين عليه السلام وقام ستة رجال بحبسه في غرفة، فهل يعني ذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعد ولياً؟ وهل يعني أنه لم يكن ولياً في زمن الأول والثاني والثالث؟ بل إنه الوليّ المطلق من قبل أن يُخلق الزمان أصلاً[١]. وفي حديث الكساء النورانيّ، نقرأ أنْ لم يكن هناك لا شمس ولا قمر ولا ماء ولا هواء ولا إنسان ولا ملك ولا نبيّ في حين كان عليّ عليه السلام والأنوار الخمسة موجودين. وقد ورد في حديث عنهم عليهم السلام: «كنّا في كينونته مع التكوين»[٢]، ما يعني أنهم كانوا أولياء آنذاك، في حين لم يكن المُوَلّى عليه موجوداً بعد. وفي كلام يدخل في بحث التوحيد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كان خالقاً ولم يكن مخلوق وكان عالماً ولم يكن معلوم»[٣]، أي كان الحقُّ خالقاً، ولم يكن

---

(١) ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: كنت وصياً وآدم بين الماء والطين. عوالي اللئالي، ج٤ ص١٢٤.

(٢) من كلام الإمام الصادق عليه السلام مع المفضل بن عمر: «...ثم تنفس أمير المؤمنين عليه السلام صعداً وقال: الحمدلله مدهّر الدهور، وقاضي الأمور، ومالك يوم النشور الذي كنا بكينونيته قبل الحلول في التمكين، وقبل مواقع صفات التمكين في التكوين كائنين غير مكونين، ناسبين غير متناسبين، أزليين لا موجودين ولا محدودين...»، الهداية الكبرى، صحيفة الأبرار ج٢ ص٥١٨.

(٣) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لم يزل الله عزّ وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع=

المخلوقُ موجوداً. أما الإنسان، فيظنّ أنه ينبغي لمفهوم الخالقية أن يتلازم مع المخلوق ليكون صحيحاً، وكذلك بالنسبة للعالِم والمعلوم، ولكنّ الواقع ليس كذلك. فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام وليّاً ولم يكن المُولَّى عليه موجوداً، وحين نقول أمير المؤمنين نعني بذلك كلّ المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. على ماذا وعلى من كان وليّاً؟ وفي أيّ زمان؟ تصحّ هذه الأسئلة عندما يتعلق الأمر بالوليّ الناتج عن الوِلاية، لا عندما ترتبط المسألة بأمير المؤمنين عليه السلام.

وَلاية عليّ عليه السلام أصل الدين والحصن الحصين

وهناك من يقول بأن عبارة «أشهد أنّ علياً وليّ الله» ليست جزءاً من الآذان. فهو لا يعدو كونه جاهلاً لا يعرف الله ولا يحظى بأيّ بصيص نور. فأصل كل الوجود من «أشهد أنّ عليّاً ولي الله». وقد وجّه رجلٌ سؤالاً إلى أحد العلماء فقال: هل تعدّ عبارة «أشهد أنّ علياً ولي الله» جزءاً من الآذان والإقامة في الصلاة؟ فأجابه العالم: لا بل إنّ الصلاة هي جزء من «أشهد أنّ علياً ولي الله». فـ«أشهد أنّ علياً ولي الله» هي أصل التوحيد والنبوة والدين والإيمان، وهي تعني أن هذا الموجود هو ممثل الحق في الخلق

=على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال: تعالى الله [عن ذلك]، إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عز وجل ولا متكلم. ◆ الأصول من الكافي ج١ ص١٠٧ ح١.

في كل الشؤون الظاهرية والباطنية. فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الأول والآخر والظاهر والباطن وأنا بكل شيء عليم، أنا أُميت وأحيي»[١]. وهذا هو الولي المطلق، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾.

ويورد كتاب «الأمالي» للشيخ الصدوق ذلك الحديث القدسي المبارك مع سلسلة أسناده التي تصل إلى الذات الربوبية، فيقول:

---

(١) روي أن أميرالمؤمنين عليه السلام كان قاعداً في المسجد وعنده جماعة من أصحابه، فقالوا له: حدثنا يا أميرالمؤمنين، فقال لهم: ويحكم إنّ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون، قالوا: لا بدّ من أن تحدثنا، قال: قوموا بنا فدخل الدار **فقال: أنا الذي علوت فقهرت، أنا الذي احيي واميت، أنا الاول والآخر والظاهر والباطن،** فغضبوا وقالوا: كفرا وقاموا، فقال علي عليه السلام للباب: يا باب استمسك عليهم، فاستمسك عليهم الباب، فقال: ألم أقل لكم: إن كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلا العالمون؟ تعالوا أفسر لكم، أما قولي: أنا الذي علوت فقهرت فأنا الذي علوتكم بهذا السيف فقهرتكم حتى آمنتم بالله ورسوله، وأما قولي: أنا أحيي وأميت فأنا أحيي السنة وأميت البدعة، وأما قولي: أنا الأول فأنا أول من آمن بالله وأسلم وأما قولي: أنا الآخر فأنا آخر من سجّى على النبي صلى الله عليه وآله ثوبه ودفنه، وأما قولي: أنا الظاهر والباطن فأنا عندي علم الظاهر والباطن، قالوا: فَرَّجْتَ عنّا فَرَّجَ الله عنك. بحار الأنوار ج٤٢ ص١٨٩. «... وسئل (أمير المؤمنين عليه السلام) كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت وأنا الصديق الأول، والفاروق الأعظم، وأنا وصيّ خير البشر، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الباطن، وأنا الظاهر، وأنا بكل شيء عليم، وأنا عين الله، وأنا جنب الله، وأنا أمين الله على المرسلين، بنا عبدالله، ونحن خزان الله في أرضه وسمائه، وأنا أحيي وأميت، وأنا حيّ لا أموت. فتعجّب الأعرابي من قوله. فقال عليه السلام: أنا الأول أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله. وأنا الآخر آخر من نظر فيه لما كان في لحده. وأنا الظاهر، فظاهر الإسلام. وأنا الباطن، بطين من العلم. وأنا بكل شيء عليم، فإني عليم بكل شيء أخبر الله به نبيه فأخبرني به...» مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٨٥.

قال الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام عن أبيه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن أبيه سيّد الشهداء حسين بن علي عليه السلام عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم أنّه سمع من الذات الربوبية: «وَلاية عليّ بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمِن من عذابي»[1].

وترجع كل العذابات التي تنزل على رأس الإنسان إلى عدم وجوده داخل هذا الحصن الحصين. فكل الأذى الذي قد يطالُكَ من أيّ شخص كان، وكل الغمّ الذي قد يصيبك في أيّ مجال كان، مردّه إلى أنك وضعتَ قدمك خارج هذا الحصن ولو بمقدارٍ بسيط. وقد نقل العلماء الكبار، من أمثال ميرداماد وميرفندرسكي والشيخ البهائي، من الذين كانت لهم اليد الطولى في علوم الباطن، أنّ من يكتب هذا الحديث مع سنده ـ الذي يبدأ من الشيخ الصّدوق عن القطان حتى آخر السند ـ ويحتفظ به، يأمن من كل خوفٍ وبلاء وقلق وغم وانكسار ومديونية وما إلى ذلك، كما

---

(١) عن علي بن موسى الرضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله عز وجل: ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي. جامع الأخبار ص١٥، أمالي الصدوق ص١٤٢، عيون اخبار الرضا ج١ ص١٤٦، معاني الأخبار ص٣٧١.

تتحسّن أعماله وتجارته في حال كان قد طرأ عليها أيّ نوعٍ من التدهور والتراجع، كما قيل إنّ المصروع يُشفى إذا ما قُرِأ عليه هذا الحديث مع سنده.

الإجازة في نقل الروايات

ويعتبر باب الإسناد الروائي مهمّاً للغاية، حيث يحتاج الراوي إلى إجازة تخوّله نقل الروايات. فقد حصل الرواة الكبار، أمثال الشيخ عباس القمّي والحاج ميرزا حسين النوري والسيّد ابن طاووس وابن بابويه والكليني والطوسي، على إجازة روائية من المشيخة حتى تمكنوا من كتابة تلك الكتب الروائية. وبالتالي، يلزم الإجازة لنقل الروايات. كما يقال إنّ الذكر بحاجة إلى إجازة أيضاً، وذلك لأنّ الأذكار مُستخرجة من الروايات، فلا فائدة منها إنْ لم تكن كذلك. ولكن، لا مشكلة في بعض الأذكار التي نُقلت من فرد إلى فرد ولم تكن محفوظة في الكتب، حيث كانت الروايات تُنقل هكذا قبل أن تظهر الكتب. ومن دون إجازةٍ، لا ينبغي لأحدٍ أن ينقل أية رواية، ولذلك نرى أنّ ناقل الروايات يستخدم عبارات على غرار: قرأ عليه، قرأ عليّ، وقرأتُ عليه فأجاز لي، وما إلى ذلك. فكلام المعصوم عليه السلام لا يترك أثراً في بعض الأحيان لأن راويه غير حائز على الإجازة. ونجد أنه قد يقرأ اثنان الرواية نفسها على المنبر، فيترك الأوّل أثراً في قلوب الناس ويُبكيهم، بينما لا يترك الثاني أيّ أثر. ومردّ ذلك إلى أنّ الأول

يمتلك إجازة روائية يتحدث بموجبها، إلى جانب المدد الحاصل عليه من قبل أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. فإذا لم تحضر عناية محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله في الحديث واللفظ، لا يترك الكلام أيّ أثر على سامعه. وعندما يصدر الكلام من القلب، يصل إلى القلب ويمكث فيه.

الشيعيّ مُبتلى

ويعتبر حديث «عليّ بن أبي طالب حصني»، الذي يُنقل مع سنده، من ذخائر الشيعة. فبِه وبأمثاله يكَبُر الشيعيّ، بينما يبقى بلا أساس أو جذور من دون هذه الأحاديث والروايات. فالشيعي مظلوم دائماً، حيث يلقى الأذى من الصديق والعدوّ على حدّ سواء. من الصديق حين يكون بلا عقلٍ[1] أو ذوق، ومن العدو عبر عناده وعداوته. وبالتالي، فإنّ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّيه هم

(١) الشيخ الصدوق في كمال الدين، حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكليني رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قال: حدثنا القاسم بن العلاء قال: حدثنا إسماعيل بن علي القزويني قال: حدثني علي بن إسماعيل، عن عاصم بن حميد الحناط، عن محمد بن قيس، عن ثابت الثمالي قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: **إن دين الله عز وجل لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم**، فمن سَلَّم لنا سَلِم، ومن اقتدى بنا هدى، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك، ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم. كمال الدين ص٣٢٤، عنه البحار ج٢ ص٣٠٣، مستدرك الوسائل ج١٧ ص٢٦٢، تفسير كنز الدقائق ج٢ ص٥١٦، تفسير الثقلين ج١ ص٥١١.

عرضة للأذى من قبل جميع الخلق[١]. ولكن ليس كل من يتعرض للأذية يكون شيعياً[٢].

ينقل بعض الأصدقاء الذين كانوا يدرّسون في النجف أنهم كانوا يرون أحد المحامين البارزين، وكان من السّادة، يشرب الخمر حتى يثمل ويقع على الأرض. ويقال إنه مرّ زمن على النجف الأشرف كان يتحوّل فيه المشروب الوارد من بوابتها إلى خلّ، كما لم تكن الكلاب تعيش فيها. ويعود ذلك إلى طبيعة الناس الذين كانوا يعيشون في النجف خلال تلك الفترة، حيث لم تكن الحيوانية من صفاتهم. فعندما تنفذ الولاية التكوينية في نفوس الناس، تترك آثاراً عليهم. إذاً، كان ذلك المحامي السيّد يشرب الخمر ـ بعد مضيّ ذلك الزمن الذي تحدّثنا عنه ـ فسلّم عليه أحد الأصدقاء وهو في تلك الحال وقال له: إنك إنسان محترم ومتعلم وتعرف الآداب والقوانين كما أنك سيّد أيضاً، فليس من اللائق بحقك أن تثمل وتقع على الأرض ويحصل لك ما يحصل. فأجابه

---

(١) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن إلا وقد وكل الله به أربعة: شيطاناً يغويه يريد أن يضله، وكافراً يقاتله، ومؤمناً يحسده، هو أشدّهم عليه، ومنافقاً يتبع عثراته. بحار الأنوار ج٦٥ ص٢٢٢.

(٢) ورد عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمةً، ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم، كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصون حقنا، ويعيبون ذلك على مَن أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا. أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يُخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟...»، الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١ ص٢٦٢.

الرجل قائلاً: يا سيّدنا، إنّ المؤمن مبتلى. بلى إنّ الشيعيّ مبتلى ولكن لا يعني ذلك أنّ كل مبتلى هو شيعي. وليس بهذا الشكل يكون «المؤمن مبتلى».

تصرّف الوَلاية التكوينيّة

ويصل تصرّف الوَلاية التكوينية في الخلق إلى حدّ يستطيع فيه الوليّ بإشارة منه تغيير كل الأكوان. ومن الأمثلة المصغّرة التي استطاع بعض البشر تحمّلها، حادثة شقّ القمر التي حصلت على يد رسول الله خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، حيث انشق القمر بإشارة من يده المباركة[١]. وفي قصة أخرى، كان رسول الله ﷺ يضع رأسه المبارك في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن حضرته قد صلى صلاة العصر بعد ولكنه لم يَشَأ إيقاظ الرسول ﷺ فانتظره حتى يستيقظ بنفسه، إلى أن غابت الشمس[٢]. وتنطوي هذه القصة على الكثير من المعاني، إلا أنّ

---

(١) خطبنا حذيفة بن اليمان بالمدائن: فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «إقتربت الساعة وانشق القمر ألا وإن الساعة قد اقتربت. ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ...» تفسير الميزان ج١٩ ص٦٠.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: صلّى رسول الله ﷺ العصر، فجاء عليّ عليه السلام ولم يكن صلاّها، فأوحى الله إلى رسوله ﷺ عند ذلك، فوضع رأسه في حجر علي عليه السلام، فقام رسول الله ﷺ عن حجره حين قام وقد غربت الشمس، فقال: يا علي، أما صلّيت العصر؟ فقال: لا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّ علياً كان في طاعتك، فاردد عليه الشمس، فردّت عليه الشمس عند ذلك. قرب الإسناد ص١٧٥. كما قال الإمام علي عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى ردّ عليَّ الشمس مرّتين، ولم يردّها على أحد من أمّة محمّد ﷺ غيري. الخصال ص٥٨٠.

عديمي العقل يستعجبون من عدم إيقاظ أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وعدم تأديته للصلاة، وذلك لأنهم لا يعرفون الوليّ. إنّ هذا الوليّ هو من الوَلاية وليس من الوِلاية، فكلُّ فعلٍ يصدر عنه قانونيّ، لأنّ الدين يستقيم به، وليس هو من يستقيم بالدين. فهو غير محكوم بالدين، بل إنّ الدين محكوم به. كما أن كل ما يصدر عنه يُصوّب الدين، في حين ليس عليه تأدية كل ما يقوله هذا الدين. ومن هنا، أمَر أمير المؤمنين عليه السلام، باعتباره الوليّ المطلق، برمي القرآن الذي رُفع على أسنّة الرماح بالسهام[1]. ولكن حذارِ من أن يأتي أحدٌ بادّعاء فارغ ويزعم بأنّ كل ما يصدر عنه صحيح، فليس في الوجود أولياء مطلقون غير الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام فحسب.

(١) معركة صفين.

الوَلاية والإمامة تخصّان الله وحده

قال سيّدنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «بُني الإسلام على خمس: على الصوم والصلاة والحجّ والزكاة والولاية وما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية». والآن قد أصبح معلوماً أنّ هناك وِلاية بكسر الواو ووَلاية بفتح الواو وكلٌ منهما يُنتج ولياً. غير أنه يمكن تعيين الوليّ، من الوِلاية، من قِبل الخلق في حين لا دخل للخلق في تعيين الوليّ، من الوَلاية. وفي هذا الباب، ينبغي التعمّق والتدقيق في كلا المعنيَيْن والإلتفات إليهما جيداً، فقد وجّهتنا روايات أهل البيت عليهم السلام إلى الإثنين معاً، الوِلاية والوَلاية. ولكن في بعض الأحيان، يقع اشتباه في المعنيَيْن، فيبحث الناس عن آثار الوِلاية في الوَلاية وعن آثار الوَلاية في الوِلاية، ويقع التشخيص الصحيح على عاتق الخبراء وأهل المعرفة. فعندما يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديث معتبر: «وَلاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» يقصد بذلك الوَلاية لا الوِلاية وكذلك في حديث: «والله لا تنال وَلايتنا إلا بورع واجتهاد

وعفة وسداد»[١]. ويُروى أنه حين دخل الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى مدينة مرو، سأل أحد خدّامه عمّا يتباحث به الناس بشأن وصوله إلى المنطقة. فأخبره الخادم بأنهم يتباحثون في مسألة الإمامة والولاية. وعندها، بيّن حضرته بأنّ كل كلام حول الإمامة والولاية يخرج عن معناه، لأنّ الولاية والإمامة خاصّان بالله تبارك وتعالى، وقد وضعهما أساساً لكل الحقائق.

الوِلاية من انتخاب الخلق

تتحقّق الوِلاية، إذاً، بتعيين فردٍ يتمتّع ـ وفق الضوابط الشرعيّة ـ بصفة الأعلم والأعدل والأشجع والأورع، وما إلى ذلك من صفات حميدة يتميّز بها عن سائر الناس، فينتخبونه وليَّ أمرٍ لهم. وفي هذا الصدد، بيّن الله تعالى الأوصاف المطلوبة عن طريق الرسول الأكرم والأئمة عليهم السلام ثم وضع عملية الاختيار في عهدة الناس، ليذهبوا ويعثروا على صاحبها بأنفسهم. ولا شكّ في ضرورة الوِلاية، فإنْ لم يجد الناس كبيراً يهديهم ويرشدهم في صلواتهم، على سبيل المثال، لن يخرجوا من الضلالة والضياع. غير أنه وبسبب إمكانية تدخّلهم في اختيار صاحب هذه الوِلاية،

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «... **واعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد...**»، بحار الأنوار ج٦٥، ص٦٥ ح١١٨. ومن خطبة للإمام عليّ عليه السلام: «ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (الثوب الخلق)، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك **ولكن أعينوني بورع واجتهاد**، وعفّة وسداد». نهج البلاغة، الخطبة ٤٥.

قال الله تعالى في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] والكلام هنا عن الأولياء الناتجين عن الولاية. فكيف ينتخبُ الناسُ وليّاً طاغوتاً؟ تفيد الروايات الصادرة عن أمير المؤمنين وباقي الأئمة عليهم السلام بأنّ أمراء الناس وحكّامهم وسلاطينهم وقاداتهم ينبثقون من ذواتهم، ولذلك يأتون على شاكلتهم، نظراً لكونهم المنتَخِبين. فكما يكون الناس، يكون أولياؤهم. أما في الوَلاية، فيرجع الانتخاب والتعيين إلى الله وحده، حيث يجتبي الحقّ ويختار من يشاء. وفي هذا السياق، تنحصر الوَلاية الكلية والمطلقة والقدسية في الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام ولا أحد سواهم.

خضوع الوِلاية للوَلاية

وتخضع الوِلاية لتصرّف الوَلاية، فوليّ الوَلاية هو الذي يرسل وليّ الوِلاية، حيث يقع اختيار الثاني في يد الأوّل. وفي حال بات هذا النظام الإلهي قابلاً للخدش، يظهر الهرج والمرج في كلّ الشؤون.

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٧. وفي الدعاء الذي رواه عبدالله بن عباس عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه كان يقنت به: «اللهم العن صنمي قريش وَجبَتيها وَطاغُوتَيها وإفكيها وابنتيْهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وَقَلَّبَا دينك وحَرَّفا كتابك وعطلا أحكامك وأبطلا فرائضك وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك ووالیا أعداءك وخربا بلادك وأفسدا عبادك...»، بحار الأنوار ج٨٥ ص٢٤٠.

بموجب هذا النظام، جُعل الأب والأم أيضاً من أصحاب الوَلاية، وليس الوِلاية، حيث وضعها الله فيهما. وبالتأكيد لم يجتمع الناس ويخرجوا بقرارات توجب للأمّ والأب الحق في أمرِ ولدهما ونهيه والتحكم بأموره، فيما تُلزم الولد بطاعتهما في كلّ الأمور، بل تمّ هذا الواقع بالجعْل الإلهي، وقضى الله تعالى بأن يكون لكل أب وأمّ الوَلاية على ولدهما. ومن هنا، عندما يغيب الأبوان، لا يحقّ لأحد آخر التصدي لهذه الوَلاية، فالله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[1]. وقد جاء هذا الحكم بأسلوب الخطاب مع رسول الله ﷺ حتى يصل إلى الآخرين، مِثله مِثل بقيّة الأحكام الواردة بالأسلوب ذاته، وإلّا فهو غير موجّهٍ لرسول الله نفسه، حيث تتجاوز وَلايته ﷺ وَلاية الأب والأم الطبيعيّين، وهو القائل: «أنا وعليّ أبوا هذه الأمة»[2]. فرسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما وسلم هما الأوْلى بعدم عقّهما، كونهما أبَوَيْ هذه الأمة في المقام الأول ثم يأتي بعد ذلك الأبوان الطبيعيّان في المرتبة الثانية. ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، وحدهما الأب والأم يملكان الحقّ في ضرب ولدهما أو شدّ أذنيه، ولا أحد سواهما، حتى في حال غيابهما. والمقصود من هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أنه في غياب صاحبَيْ الولاية، أي الأبوَين، لا يحقّ لأحد التدخل باليتيم، لأنّ الله يتولاه،

(١) سورة الضحى، آية ٩.

(٢) معاني الأخبار ص١١٨.

حينذاك. فقد أوصى الله تعالى باليتيم بهذا القدر بغية حفظ الوَلاية.

أيتام آل محمد عليهم السلام

ومن هنا، تدلّ هذه التوصية باليتيم على حقيقة كامنة وراءها، إذ لا تنحصر بشخص اليتيم. ففي زمان الغيبة، يعتبر كل الشيعة أيتاماً لآل محمد[1] صلى الله عليه وآله. وإنما يُهين هؤلاء الأيتام ويعمل بخلاف ما ينصّ عليه القرآن الكريم، كل من يتدخّل في أمر الوَلاية. وما كل المشاكل والصراعات والنزاعات إلا بسبب تدخّل الإنسان في ما لا يعنيه، تماماً مثلما يعود سبب الكثير من حالات الطلاق بين الأزواج إلى تدخّل أقرباء الزوجين في ما لا يعنيهم. فكلّ من يتدخّل في ما لا يحقّ له التدخل فيه، يقع في الهمّ والبلاء، ويسري ذلك حتى على أدق المسائل. غير أنّ الحال يختلف عندما يصدر الأمر عن الوليّ المطلق أو عمّن تشرّف بعنايةٍ منه وشعّت

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أشدّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه، يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولايدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى. بحار الأنوار ج٢ ص٢، كما يمكن المزيد من الروايات في أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله في ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤ ص٣٧١٠. وفي الخبر عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم. الوسائل ج٩ ص٤٨٣.

عليه أنواره[١]. فما من أحد، غير المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، يحق له إصدار الأوامر للناس بالصلاة والصوم وما إلى ذلك، لأنّ ولايتهم كليّة وشاملة لجميع الخلق.

الوليّ أولى بالناس من أنفسهم

لقد تم تعريف الوَلاية في يوم الغدير على هذا النحو: «من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه»[٢]، أي: كما كنتُ، أنا خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، أقرب منكم إليكم، وكما كانت لي السيطرة الوجودية عليكم، وكنتُ أولى بأنفسكم من أنفسكم، وأحقّ بالتدخل فيها منكم، فكذلك هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إذ «أنا وعليّ أبوا هذه الأمة». وما كان الله لِيَخلق الأبوين في هذا العالم إلا حتى يُعرَف أمير المؤمنين ورسول الله صلى الله عليهما وآلهما وسلم وإلا لكان الجميع قد أتى إلى الدنيا بلا أبٍ ولا أم كآدم «أبو البشر». وبالتالي، فالغاية من خلق البشر عن طريق الأب والأم والأصلاب والأرحام هي معرفة هذين الموجودين. والأمر سيّان في حالة عيسى بن مريم عليه السلام، حيث صدرت تلك النفخة، التي نُفخت في مريم المقدسة عليها السلام، من أبوّة أمير المؤمنين عليه السلام،

---

(١) عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «فضل كافل يتيم آل محمّد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل، يُخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتُبه عليه ـ على فضل كافل يتيم يُطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على السُهى. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٤ ص٣٧١٠.

(٢) قرب الإسناد ص٢٧ وعنه: بحار الأنوار ج٣٧ ص١١٨.

بموجب الوَلاية الغيبية. فأصبح أمير المؤمنين عليه السلام، بلطفه التام، أباً لعيسى بن مريم عليه السلام. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[١]، تلك الروح التي نُفخت في آدم عليه السلام هي روح الأبوّة نفسها التي نُفخت في مريم المقدسة[٢] عليها السلام.

للوِلاية والوَلاية وجودٌ في جزئيات حياتنا، حيث تعود البلاءات والمشكلات التي يقع فيها الإنسان إلى تدخّله بما لا يعنيه، لا سيّما بشؤون الوَلاية. وقد عايش الإمام الصادق عليه السلام أواخر زمن الأمويين وأوائل زمن العباسيين، وبحسب إحدى الرويات التي تُنقل عنه، فقد توّجه إلى المحيطين به يسألهم: أرأيتم أحداً من الناس يناصب لنا العداء صراحةً باعتبارنا أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته؟ أجابوا: لم نرَ أحداً كذلك. فقال عليه السلام: إنهم ينكرون وَلايتنا باعتبار أنّكم محبّونا، فهم لا يطيقون رؤيتكم[٣]. ولذلك، فإنّ من ينكر الوَلاية فيكم، ينكر وَلايتنا، وبالنتيجة، ينكر الولاية الإلهية. إنتبهوا ولا تنسوا أبداً: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، لا دخل لكم بأحدٍ أبداً، فصاحب الوَلاية هو من يتولى الأمور. وإذا رأيتم أنّ

---

(١) سورة الحجر، آية ٢٩.

(٢) ﴿مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، سورة آل عمران، آية ٥٩.

(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً وآل محمد صلى الله عليه وآله ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وأنكم من شيعتنا. البحار ج٧٢ ص١٣١ وج٢٧ ص٢٣٣ وسفينة البحار ج٨ ص٢٥٢.

صاحب الولاية ـ أي الأم والأب ـ غائب، دعوا الله يُجري الوَلاية بنفسه، ولا تخوضوا في أمر الخلق ونهيِهم.

لا يرتاح الإنسان إلا عندما يتخلّص من نفسه الأمّارة واحتيالها. وقد قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1]، وهذا يوسف الصديق نفسه! فقد نزل عليه البلاء لأنه أراد أن يأمر الناس وينهاهم حين نُصِّب عزيزاً لمصر. ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾، أي: إلا إذا أعاننا أمير المؤمنين عليه السلام عليها. وإذا لم يُقدِم البشر على إصلاح أنفسهم في هذا المجال، لن يصلح وجودهم على الإطلاق. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم توفّر شروط خاصّة في الآمر والناهي. وقد نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام ما مفاده أنّ من يتتبّع عيوب الغير ويلومهم على ذنوبهم، لا يخرج من الدنيا إلا وقد ارتكب الذنوب نفسها[2].

---

(١) سورة يوسف، آية ٥٣.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عيّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله. ميزان الحكمة، ج٣ ص٢٢١٢. ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة، أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم. فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ممّا هو أعظم من الذنب الذي عاب به، وكيف يذمّه بذنبٍ قد ركِبَ مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ممّا هو أعظم منه. وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير، لجرأته على عيب الناس أكبر. يا عبدالله لا تعجّل في عيب عبدٍ بذنبه فلعلّه مغفورٌ له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلّك تُعذّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره. وسائل الشيعة، ج١٥ ص٢٩١.

إنّ الطهارة خاصّة بالأربعة عشر عليهم السلام، ولن يجدها الإنسان في أيّ أحد سواهم. ويعترف الكلّ ويقرّ بهذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. فأهل البيت عليهم السلام لا مثيل لهم وليس بمقدور أحدٍ أن يكون بطهارتهم، وهذه هي الوَلاية. وينبغي عدم اغتياب أحد، أتدرون لِمَ؟ لأن غيبتكم قد تطال شخصاً يضع يده في يد الله[2]. فانتبهوا، لأنّ أصحاب الحياة الإلهية والولائية، لا يتدخلون في شؤون الآخرين. وإنْ أراد أحدٌ تبيانَ أوامرِ الأئمة الأطهار عليهم السلام ونواهيهم، عليه أن يكون هو نفسه من أهل هذه الأوامر والنواهي.

لماذا يرفض الناسُ أهل الوَلاية؟

عوداً على بدء، لا تكون الوَلاية إلّا بالجعْل الإلهي. وقد رأت الملائكة أنّ الله تبارك وتعالى يخلق موجوداً بقوة الولاية، فاعترضوا ولم يقبلوا بذلك: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[3] ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]. ثم خاطب سبحانه وتعالى إبليس قائلاً: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[5]، أي: ما الذي

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتّقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإنّ الله يغضب لهم كما يغضب للرسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم». كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٤، ص ٣١٤. والمجاهد بالجهاد الأكبر أعظم من المجاهد بالأصغر.

(٣) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٤) السورة والآية نفسها.

(٥) سورة ص، آية ٧٥.

منعك من أن تسجد لما لمَسَه عليّ[١] عليه السلام؟ ومنذ ذلك الحين، قضت القاعدة بعدم قبول الناس بكل مَن وصل إلى معرفة الولاية، غير أنهم لا يعترفون بالسبب الحقيقي وراء ذلك، فيختلقون عيوباً في ذلك الموالي حتى يبرروا رفضهم له. ولكنّ الحقيقة أنّ العيب فيهم لأنّ ارتباطهم بالولاية ضعيف. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لو علم الناس كيفية خلقهم لما لام أحد أحداً»[٢].

إيّاكم والتدخل بشؤون الغير!

وينبغي على كل فرد منّا أن يكتب الشعار الآتي على لوح كبيرٍ ويعلّقه على جدار منزله حتى لا ينساه أبداً: «لا دخل لي». فإنْ لم يصلح الإنسان من الداخل، لن يصلح من الخارج[٣]. ولكنّ الأمر لا يتحقق بالتعليم والمطالعة، إنما ببرق الولاية الذي يسطع على وجود الإنسان. ويُروى أنه في زمن الإمام الصادق عليه السلام، كان هناك رجلٌ دائمُ القلقِ والسؤالِ عمّا يحدث هنا وهناك نظراً لفضوليّته الشديدة. فقال له الإمام عليه السلام: إذا وضعتَ جوهرة في

---

(١) من حديث المفاخرة لأمير المؤمنين عليه السلام: «... أنا نجم الله الزاهر، أنا الذي تزوره ملائكة السماوات، أنا لسان الله الناطق، أنا حجة الله تعالى على خلقه، أنا يد الله القوي، أنا وجه الله تعالى في السماوات، أنا جنب الله الظاهر...»، الفضائل لابن شاذان ص٨٣، حلية الأبرار ج٢ ص١٢٣.

(٢) الكافي ج٢ ص٤٤. ومن كلام لأبي جعفر عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق لما اختلف اثنان...»، بحار الأنوار ج٥ ص٢٥٢ ب١٠ ح٤٨.

(٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام: ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل أصلح الله له فيما بينه وبين الناس. بحار الأنوار ج٦٨ ص٣٦٧.

يدك وأقفلتها، وقال الناس إنّ ما في يدك ليس سوى طين، فهل يغيّر ذلك شيئاً عندك؟ أجاب: لا، يا ابن رسول الله. فقال الإمام عليه السلام: وإذا كان في يدك طين وقال كلّ الناس إنّ في يدك جوهرة[١]، فهل يغيّر ذلك شيئاً؟ أجاب: لا. فسأله الإمام: إذاً، ما دخلك أنت بغيرك؟ إنّ التفات الإنسان إلى هذه المسائل يحفظه في يوم القيامة وعلى جسر الصراط. فشيعة أمير المؤمنين عليه السلام محكومون بالضوابط، حيث يُنقل عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة قوله: «طوبى لمن لزم بيته وأكل قوته وبكى على خطيئته والناس منه في راحة»[٢]. وبالتالي، ينبغي على الإنسان المعيوب أن لا ينظر إلى عيوب الآخرين، إذ من علامات الجهل وجنوده انصراف الناس عن عيوبهم والخوض في عيوب الغير، في حين يتعيّن على الإنسان، أولاً، أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر. فعمّ يبحث هذا الإنسان خارج وجوده؟

---

(١) قال الصادق عليه السلام ـ لبعض الشيعة ـ وقد ذكر له أنّ قوماً يعيّرونهم بنسبَتهم إليه، فقال ما معناه: أرأيت لو أنَّ في يدك جوهرة، وأجمع الخلق على أنّها غير جوهرة، أكان يؤثرذلك في علمك شيئاً؟ فقال: لا. قال: «فهكذا إذا عابوكم على صحّة الاعتقاد، فلا يؤثر قولهم، ولو ساعدهم على ذلك سائر من خالفكم من العباد». روى نحوه ابن شعبة في تحف العقول ص ٣٠٥، عن الامام الكاظم عليه السلام يوصي هاشم بن الحكم.

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أيها الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربه، وبكى على خطيئته، فكان في نفسه في شغل، والناس منه في راحة. نهج البلاغة خطبة ص ١٧٦، بحار الأنوار ج٦٧ ص ٣٥٠، مستدرك الوسائل ج١ ص١١٦ ح١٣٧.

اللجوء إلى كربلاء

وتَصرِف قضيّة كربلاء والحسين عليه السلام ذهنَ الإنسان عن كلّ تلك المفاسد. فكلّ من يلتفت إلى الحسين عليه السلام، يعجز عن الالتفات إلى أيّ شيء آخر. ولكن عجباً إنْ لم تنجح هذه النقطة النورانية في جذبنا وفي جعل كربلاء مستقراً دائماً لنا، فوا أسفاه إنْ خرجنا من كربلاء. وتجدر الإشارة إلى أنه من ضمن التوجيهات الباطنية التي يعطيها المرشد لمريده هو الذكر الطويل، بهدف إبقاء فمه مغلقاً طيلة وقت الذكر. فما ينزل على الناس من أوزار وبلاءات ليس إلا بسبب ألسنتهم[١]. ومن جديد، ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٢]، لستَ أنت وليّ من غاب عنه وليّه، فالقرآن يقول ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾[٣]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٤]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٥].

وقد أوصى أمير المؤمنين ولده الحسين عليه السلام مخاطباً إيّاه: بنيّ حسين، لا تُؤيِس مذنباً، (أليس الحسين رحمة الله الواسعة؟) رُبّ عاكفٍ على ذنب فخُتم له بخير، وربّ عاملٍ للخير كانت عاقبته

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم. أصول الكافي ج٢ ص١١٥، جامع السعادات ج٣ ص٤٧.

(٢) سورة الضحى، آية ٩.

(٣) سورة الزمر، آية ٤١.

(٤) سورة الغاشية، آية ٢٢.

(٥) سورة القصص، آية ٥٦.

شراً[1]، لأنه يتدخّل في شؤون الآخرين. لا تخرجوا من كربلاء، وأصغوا لأحاديث الأئمة عليهم السلام وامتنعوا عن الخوض في عيوب الغير.

(١) من وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسين عليه السلام: «اي بنيّ، لا تؤيّس مذنباً، فكم من عاكف على ذنبه خُتم له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النّار، نعوذ بالله منها». تحف العقول ص٩١.

الفهرس

المقدمة ٥
الشّذا الأوّل ١١
آثار حديث الكساء ١١
الرؤية لإدراك الحقيقة ١٦
إدراك الحقيقة عبر السّمع ١٧
حقيقة «العليّ الأعلى» ١٧
السرّ الظاهريّ والغيبيّ لحديث الكساء ١٩
الشّذا الثاني ٢٥
إدراك معاني ومفاهيم «حديث الكساء» ٢٥
الرواية والإرتواء ٢٦
العلاقة بين النظرة والانتظار ٢٨
طريق الشمّ للارتباط بالحقيقة ٣٢
اتصال حاسّة الشمّ بالقلب ٣٦
الشّذا الثالث ٣٩
شهادة أمّ البنين عليها السلام ٣٩

«عليّ صحيفة مغلقة لم يقرأها أحد» ٤١
حضور أمّ البنين عليها السلام في البقيع ٤٢
زيارة أمّ البنين عليها السلام ٤٣
الشّذا الرابع ٤٧
الحقيقة المستورة ٤٧
ليلة القدر ٤٨
ستر الحقائق يصون قدرها ٤٩
سُبُل الوصول إلى المستور ٥٠
السبيل الأمضى لإدراك الحقائق ٥٢
دور اللمس في الوصول إلى الحقيقة ٥٢
ينبوع المحبّة ٥٨
الشّذا الخامس ٦١
الذّوق وأهله ٦١
الرّبط بين النظر والذوق ٦٣
من هم أهل العلم؟ ٦٥
الألفاظ والأسماء ٦٧
الولاية الذوقيّة ٧٠
الشّذا السادس ٧٥
ذخائر أهل البيت عليهم السلام ٧٥
ظلم المتوكّل ٧٧
الإرتباط بالوليّ ٨٠
أهل البيت عليهم السلام عندهم الدواء لكلّ داء ٨١

التوسل بأهل البيت عليهم السلام يرفع البلاءات ٨٢
الشّذا السابع ٨٥
حديث الكساء يحلّ المشكلات ٨٥
بركات شهر رجب ٨٦
مظهر اسم الجواد ٨٦
معنى الجود ٨٧
أثر الأبناء على الآباء ٨٩
أثر الارتباط بالحسين عليه السلام ٩٠
ذكر عليّ عليه السلام يحفظ القلب ٩١
عشق الحسين عليه السلام الدواء الأنجع ٩٢
الشّذا الثامن ٩٥
حديث الكساء وآية التطهير ٩٥
المصافحة توصل إلى الحقيقة ٩٥
معنى «الكفر» ومفهومه ٩٧
من هم الذين يُعرفون ببناتهم؟ ٩٧
أهل البيت عليهم السلام هم كل الوجود ١٠٢
التوحّد مع المبدأ ١٠٤
الشّذا التاسع ١٠٧
أصحاب الحقيقة هم المقصد ١٠٧
الحقيقة لا نهائية ١٠٨
إمام الزمان عجل الله فرجه سيّد المستضعفين ١٠٨
معنى الوارث ١١٠

قلب المؤمن هو بيت الله ١١٢
توحيد القلوب ١١٣
منشأ فرح الشيعة وحزنهم ١١٤
التصفيق من مظاهر الفرح ١١٥
الشّذا العاشر ١١٩
الوَلاية أساس الدين ١١٩
الفرق بين الوِلاية والوَلاية ١٢٠
أقسام الوَلاية ١٢١
الوَلاية تستبطن العبادات ١٢٢
أثر الوَلاية على الأنبياء ١٢٣
حقّ أستاذ الوَلاية ١٢٥
الوَلاية عطاءٌ من الحق تعالى ١٢٦
الشّذا الحادي عشر ١٢٩
زيارة الله فوق عرشه ١٢٩
الشفاء في تربة الإمام الحسين عليه السلام ١٣٠
خاصيّة زيارة سيّد الشهداء عليه السلام ١٣٢
جاذبيّة كربلاء ١٣٣
أرض كربلاء وتجلياتها ١٣٤
الشّذا الثاني عشر ١٣٧
أركان الإسلام ١٣٧
شهادات الزور بحق عليّ عليه السلام ١٣٨
الوَلاية أساس النبوّة والتوحيد ١٣٩

حقّ القرآن على النبيّ عيسى عليه السلام ١٣٩
القرآن ثبّت الوَلاية ١٤٠
لا حقيقة عدا أهل البيت عليهم السلام ١٤٢
الوَلاية هديّة من الله تعالى ١٤٣
فاطمة عليها السلام حقيقة «السلام» ١٤٥
الإسلام هو الدين الفاطميّ ١٤٧
الموالون مُختارون ١٤٨
أثر قبول الوَلاية والتردّد فيها ١٥٠
«أفضل» في إذن الزيارة ١٥٣
الشّذا الثالث عشر ١٥٥
ركن الإسلام الأهمّ ١٥٥
الوصيّة أساس ١٥٥
الخُمس صِلة الوصل مع الوليّ ١٥٧
حضور الموت ١٥٧
الوصيّة خلاصة الحياة ١٥٩
نوْل الشفاعة بالموت ١٦٠
الشفاعة وأصحاب الحسين عليه السلام ١٦٢
الورع والاجتهاد شرطا الوَلاية ١٦٤
المفاهيم الخاطئة ١٦٤
المستخفّ بالصلاة مستخفٌّ بالوَلاية ١٦٦
الشّذا الرابع عشر ١٦٩
هنالك الوَلاية لله ١٦٩

الوجود خاضع لسيطرة الوليّ ١٧٠
كما تكونوا، يُولّى عليكم ١٧١
الوَلاية أزليّة أبديّة ١٧١
وَلاية عليّ عليه السلام أصل الدين والحصن الحصين ١٧٣
الإجازة في نقل الروايات ١٧٦
الشيعيّ مُبتلى ١٧٧
تصرّف الوَلاية التكوينيّة ١٧٩
الشّذا الخامس عشر ١٨١
الوَلاية والإمامة تخصّان الله وحده ١٨١
الوِلاية من انتخاب الخلق ١٨٢
خضوع الوِلاية للوَلاية ١٨٣
أيتام آل محمد عليهم السلام ١٨٥
الوليّ أولى بالناس من أنفسهم ١٨٦
لماذا يرفض الناسُ أهل الوَلاية؟ ١٨٩
إيّاكم والتدخل بشؤون الغير! ١٩٠
اللجوء إلى كربلاء ١٩٢